

مجلة البيان - العدد ٣١ ، المحرم ١٤١١ هـ / أغسطس ١٩٩٠ م

الافتتاحية

ورثة أبي لهب

جاء في سنن الترمذي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في أوائل الدعوة المكية يعرض نفسه على العرب في موسم الحج يدعوهم إلى الإسلام وإلى حمايته حتى يبلغ دعوته ويقول لهم: «ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي» .
وأخرج الإمام أحمد في المسند عن ربيعة بن عباد قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية في سوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه يقول: إنه صابئ كذاب، يتبعه حيث ذهب، سألت عنه قالوا : هذا عمه أبو لهب.

لقد جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعرب بالعز والسعادة في الدنيا والآخرة ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ((وَأَنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِِقَوْمِكَ)) وكان - صلى الله عليه وسلم - حريصاً مشفقاً على قريش وعلى الناس أجمعين ولكن عمه أبا لهب كان يخذل الناس عنه ويمنعهم من نصرته ، فكان العرب عندما يسمعون كلام أبي لهب يقولون "أهله وقومه أعلم به" .
ونحن في هذه الأيام نقول للعرب والعجم : طبقوا شرع الله تفلحوا وتصبحوا أمة معدودة بين الأمم، إن الإسلام هو قدرنا وهو خيارنا الوحيد وهو هويتنا الذي يحفظ لنا شخصيتنا، وما ظنك بدين اختاره الله لنا . والعرب بلا إسلام أصبحوا أضحوكة للعالم يخافون من (شامير) و (شارون) .
ونقول أيضاً للعرب والعجم: لقد جربتم كل الأفكار والمذاهب ففشلتم وتنازعتم ، وأصدقاؤكم القدامى ، الاتحاد السوفييتي ومن كان يسير في فلكه أداروا لكم ظهورهم ، وأمريكا تمارس (البلطجة) فأين المذهب ؟

إن صنيع أبي لهب يذكرنا بموقف الصحافة العربية من أحداث الجزائر ونجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد بدأت هذه الصحافة بالتحذير من (التطرف) و (الأصولية) ، وأن هؤلاء المسلمين سيخربون المدينة (أين المدنية؟) .

لم يستطع أصحاب هذه الصحف أن يكونوا موضوعيين ويعترفوا أن الشعوب العربية تريد الإسلام ، بل تمنى أصحاب هذه الصحف أن لو عاد العسكر حتى لا يأتي المسلمون ، وهم الذين ينادون بـ (الديموقراطية) صباح مساء .

قالت (الوطن العربي) في عددها الصادر في ٩٠/٦/٢٢ : "إن الجبهة الإسلامية تعتمد على الخلط بين السياسة والدين، وقد استغلت الأوضاع الاقتصادية لصالحها"، ثم حاولت المجلة إثارة الجيش باعتباره "الضامن الوحيد للاستقرار" وفي نفس العدد وفي صفحتها الأخيرة اتهمت التيارات الإسلامية بأنها تُشجّع من جهات أجنبية ، وهذه اتهامات سخيفة لم تعد تروج على أحد، وهي عودة إلى المهاترات والردح الذي راج في الخمسينات والستينات .

أما صحيفة (الوطن) الكويتية الصادرة بتاريخ ٩٠/٦/٢٢ ، فبعد أن ذكرت فوز الجبهة الإسلامية بـ ٨٢% من الأصوات ذكرت أن المثقفين الجزائريين يعيشون حالة قلق لما يمكن أن تخبئه لهم الجبهة الإسلامية . وتقصد الصحيفة بـ (المثقفين) المسرحيين والرسامين والروائيين، وكأن الصحيفة

تريد أن تصور الجبهة الإسلامية بأنها وحش مخيف ، وأظن أن هؤلاء المثقفين قد تملكهم الخوف لأنهم يعلمون من أنفسهم أنهم يمثلون (الطابور الخامس) الثقافي ضد الإسلام ، وإذا كانوا غير ذلك فلماذا يخافون .

ومجلة (اليوم السابع) تسأل نجيب محفوظ عن (ظاهرة التطرف الديني وأخطارها المحدقة بالشعوب العربية والإسلامية) وطبعاً المجلة تقصد كل المتدينين ولا تقصد فئة متشددة بعينها تخالف ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - لقد صورت المجلة (التدين) بأنه الخطر المحدق بالشعوب العربية ، أما ما تمارسه المجلة من التبعية للشرق وللإيسار فليس خطراً محققاً ، وليس هو الذي جاء بهزائم ١٩٦٧ وما بعدها.

لقد قامت كثير من الصحف بما قامت به أخواتها وما قصرت في الصد عن ذكر الله والهجوم على ما يسمونه (الأصولية) المتنامية في الجزائر . وإذا كان الغرب وصحف الغرب قد أبانوا عن حقد دفين ، وخاصة إذا كان هذا الإسلام قريباً منهم على الطرف الآخر من حوض البحر المتوسط ؛ فإن هذا التخوف ينسجم مع محاولتهم لاستمرار الهيمنة على الشعوب الإسلامية ولكن ما بال الصحف العربية والمجلات العربية ، هل تريد استمرار الترددي لذي شاهدناه طوال العقود الثلاثة الماضية ، ولماذا لا يعترفون بأن كل الشعارات التي رفعت سابقاً لم تؤد إلى النتيجة المرجوة ، وأن الحل الوحيد للعرب هو الإسلام .

في إشراقة آية

((أصلها ثابت وفرعها في السماء))

- ٢ -

د. عبد الكريم بكار

ب- رفض التعميم :

لقد تعقدت الحياة وكثرت التفاصيل فيها إلى درجة جعلت تعميم الأحكام في أكثر الأحيان أمراً بعيداً عن الحقيقة؛ وصار التعميم في لغتنا في إحدى أهم الثغرات التي ينفذ منها لهدم ما نقوله وتمييع القضايا التي نعرضها .

على أن التعميم مرفوض في المنهج الإسلامي بصورة عامة ، ومن ثم كثرت الآيات في الكتاب العزيز التي ترد فيها كلمة (أكثر) ، وكلمة (كثير) بمعنى أكثر ، كما أن في السنة ما ينسجم مع هذا من مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : "إن أعظم الناس فرية لرجلٌ هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها" (١) .

والمحدثون الذين يتسم عملهم بالدقة والإتقان كانت لهم تفريقات رائعة في أبواب نقد الرجال والحكم على الأحاديث من مثل قول مالك - رحمه الله - : «إن من شيوخي من أتبرك بدعائه، ولكن لا أقبل روايته» ، ومن مثل قولهم : فلان صدوق إلا أنه غير ضابط ..

فالتعبير ب (الاتجاه العام ، أو الانطباع العام ، أو الأقرب أو الأكثر) هو الأدنى من الحق والأكثر انسجاماً مع لغة العصر.

ج - النفور من الوعظ المباشر :

عكر النسيج الثقافي القائم اليوم الرؤية عند كثير من الناس ، كما أفسد الكثير من الفطر السليمة، كما أدى نمو الخصائص الفردية في صورة مرضية في بعض الأحيان ، كما أدى إلى تضخيم الخصوصيات لتتسحب على كثير من شؤون الحياة العامة التي هي أقرب إلى العموميات ، وقد أدى ذلك كلفته إلى تكوين مزاج لا يرتاح للوعظ المباشر، وصار ينظر إليه في بعض الأحيان على أنه خروج عن اللباقة والآداب الاجتماعية المرعية، أضف إلى هذا أن انخفاض نوعية الدعاة - كما هو شأن أكثر الأمة- في جانب الالتزام يجعل قبول الناس للموعظة أمراً غير سهل. ومن ثم فلا بد من الاعتماد على الإيحاء والتلميح وضرب الأمثال وغيرها أسلوباً للخطاب وزكاته الداعية تفتح له في كل يوم آفاقاً جديدة في هذا.

د - الاختصار :

الناس اليوم في عجلة من أمرهم ؛ حيث إن المستوى المادي الذي يطمحون إليه جعل الوقت يضيق عن الشروح الطويلة وتكرار البديهيات واستخدام المترادفات ، مما يقتضي الإيجاز - غير المخل - في إيصال الأفكار والمعلومات إليهم ، وصار الإطناب من فضول القول.

هـ - الضيق بالمبالغات :

مرت على أمتنا بعض الفترات التاريخية التي سادت فيها المحسنات البديعية، وصار إطلاق الألقاب الفخمة يجري دون أي اعتبار أو تحاكم إلى الواقع ، ويقف المرء على هذا في مقدمات بعض الكتب ، وما يطرز به أسماء مؤلفيها من الصفات التي تبتعد عن الحقيقة قليلاً أو كثيراً؛ لأنها لا تستند إلى قاعدة من المعلومات الصحيحة كما في قولهم:

البحر العلم المجدد جمال الدين فريد عصره ووحيد دهره الذي لم تقع العين على مثله... وتطلق هذه الأوصاف على عشرات من العلماء الذين يعيشون في عصر واحد أو في بلد واحد في بعض الأحيان. وكانت هذه الإطلاقات مجافية لما عرف عن سلف هذه الأمة، بل لما عرف عن منهجه - صلى الله عليه وسلم - حيث أثنى على كثير من أصحابه ، ووصفهم بصفات محددة، فواحد أعلمهم بالقراءة، وآخر بالقضاء، وثالث بالصدق ، وهكذا..

ولم تقتصر المبالغة على إطلاق الألقاب ، بل تجاوزت ذلك إلى أن أصبحت جزءاً من الاعتبارات الذهنية والعلمية عند كثير من الناس ، وقد عاد الأمر إلى نصابه في لغة العصر، وصارت المبالغة مملولة ممجوجة.

و - التجديد :

كان من خلق بني إسرائيل أنهم لا يصبرون على طعام واحد، وقد انسحب هذا الخلق اليوم على كثير من جوانب الحياة في المسكن وترتيب أثاثه ، والملابس وأشكال تفصيلها، والمراكب وأنواعها، وشأنهم في القضايا المعنوية نحواً من ذلك ، فهم تواقون إلى الجديد من المعاني والأفكار والأساليب ، وصاروا يشعرون بجمود من لا يواكبهم في ذلك وقصوره، وليس في التجديد ما يذم إذا تم مع المحافظة على الأصول والثوابت ، بل قد لا تتم المحافظة على الأصول إلا من خلال التجديد في الوسائل والأساليب ، حيث تعرض بأشكال تنسجم مع روح العصر.

ز - المعالجة العملية :

تقدم العلوم على الصعد العملية شكل حس الناس ومنطقهم العام ، في الميل إلى الواقعية والارتياح في الصيغ العملية ، ونظام الخطوات المتتابعة ، التي تسلم كل واحدة منها إلى الأخرى في الوصول إلى هدف أو حل مشكلة، وصارت الحاجة ملحة إلى (كيف)، ولم يعد طرح المبادئ كافياً وحده ، فما عاد

كافياً التردد لنحو: لابد من رفع المستوى الخلقي لدى الفرد، أو لابد لنشر الدعوة بين الناس ، بل أنت مطالب بأكثر من هذا، مطالب ببيان الإمكانيات المتاحة ، ثم بيان المنهج والخطط والأدوات التي يمكن استخدامها في الاستفادة من تلك الإمكانيات؛ وذلك لأن تعقد الأشياء وتشابكها يحتاج إلى نوع مكافئ من تعقد الفاعلية على مستوى الخطط والأساليب والأدوات.

ح - عدم قبول تفسير الظواهر الإنسانية بعامل واحد :

الإنسان ذو أبعاد فسيحة وأغوار عميقة، وكل الظواهر التي تتصل به على درجة عالية من التعقيد في الأفكار والمبادئ والمواقف والعادات ، وفي الاجتماع والاقتصاد... كل أولئك يتشكل ويتبلور نتيجة نسيج معقد من العوامل.

وإذا كان هذا هو الواقع فإن تفسير أية ظاهرة إنسانية وتعليلها بعلة مفردة غير صحيح ولا دقيق؟ فلا يمكن أن يقال مثلاً إن الشعب الأفغاني صمد في وجه المحتلين بسبب إيمانه أو بسبب صعوبة تضاريس أرضه من جبال وكهوف ، أو بسبب رصيد الفطرة لديه ، أو بسبب العون الخارجي.. إنه لم ينفرد سبب واحد من هذه الأسباب بولادة ظاهرة الصمود، بل إنها جميعاً مع أسباب أخرى أسهمت في إيجاد وضع متميز يستمد تميزه من خصوصية شروطه وأسبابه. وهكذا...

كيف نمثلك لغة العصر؟

في العالم اليوم ما يسمى بثورة المعلومات مما يفرض على المثقف المسلم أن يرسم لنفسه خطة تثقيفية خاصة تناسب رغباته واختصاصه العلمي ، والمهمة التي ندب نفسه لها. والمشكلة الكبرى في عزوف كثير من الناس عن القراءة فأمة (اقرأ) ما عادت تقرأ مما خلق نوعاً من الخلخلة الثقافية في ساحتنا الفكرية ، وجعل كثيراً من أهل الخير عاجزين عن فهم لغة العصر، وإذا عزم المرء على القراءة فلا بد له من القراءة الواسعة في شتى أنواع المطبوعات ، وعليه أن يقرأ لكل المدارس حتى لا يقع فريسة للانغلاق الفكري أو ضحية للأفكار الفقيرة التي تظهر في أساليب شتى. ولا بد لمن يريد أن يسير في طريق الانفتاح الثقافي من ثقافة شرعية أساسية يتمكن بها من تحديد الثوابت التي أكبر فضائلها دوامها واستقرارها ، حتى لا ينجر مع نتائج المدارس والتيارات التي يقرأ لها.

كما لابد له من محاولة امتلاك منهج في التفكير يستند إلى وعي صحيح بأحداث الماضي، ووعي جيد لظروف الحاضر ، حتى يتمكن من امتلاك رؤية واضحة لكيفية عمل سنن الله في الأنفس والأفاق. إن الذي يملك شذرات من المعلومات كمن يملك قطعاً من الذهب ، أما الذي يملك منهجاً ذا نماذج خاصة ، فإنه يمتلك مفتاح منجم من الذهب ، فإذا حصل على هذا وذاك فإن الانفتاح في الاطلاع يكون خيراً كله ، وحينئذ يتجاوز الداعية مرحلة السيطرة على اللغة ليصبح من موجديها ومؤهلها ، ولكن لابد قبل الانهماك في القراءة من اختيار ما نقرأ، فلنقرأ للعابرة، ولأولئك الذين يقدرون مسؤولية الكلمة، والذين لا يدفعون بكتابهم إلى المطبعة إلا بعد الاعتقاد بأنه يشكل إضافة جديدة للفكر الإنساني.

٣ - دوام نفعها :

إن الشجرة الطيبة التي ضربها الله تعالى مثلاً للكلمة الطيبة دائمة الثمار، وديمومة عطائها نابعة من تناسق الصفتين السابقتين : ثبات الجذور، وبسوق فروعها في جو السماء، والكلمة التي لا جذور لها لا تستطيع أن تصنع شيئاً. والأفكار التي تبثها قصيرة العمر كزهو الربيع؛ والكلمة التي لا تنسجم مع لغة العصر لا تستطيع ملامسة أعماق الإنسان الذي تفرع سمعه ، والذي وصفناه بأنه بالغ

التعقيد. وقد ملكتنا هذه الآيات الكريمة المقياس الذي نتعرف به على الكلمة الطيبة، وهذا المقياس هو : ((تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ)) ، فنحن إذا أردنا من هذا المنظور أن نقيس أداء خطب الجمعة في عالمنا الإسلامي وأثارها في ترقية فهم الناس للإسلام والتزامهم به وجدنا أن أطناناً من الورق تكتب أسبوعياً دون أن تؤتي الثمار التي تتناسب مع حجم ذلك الجهد المبذول ، ونعني به خطأ الأسلوب. إن مهمة المسلم أن يعيش عصره ويكون مؤثراً لا متأثراً، وأن يكون له دور في صياغة لغة العصر.

الهوامش:

١- أخرجه ابن ماجه والبيهقي . قال الهيثمي : رجاله ثقات وإسناده صحيح .

الخصائص المميزة لعقيدة أهل السنة والجماعة

- ١ -

هشام إسماعيل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: حديث الافتراق من الأحاديث المشهورة، أخرجه كثير من أصحاب الحديث في كتبهم ، وهو كما قال عنه الحاكم: «هذا حديث كثر في الأصول» (١).
ومن أجمع ألفاظه ، ما رواه عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعين في النار، وافتترقت النصرارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعين في النار، واحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنان وسبعون في النار. قيل : يا رسول الله من هم؟ قال : الجماعة» (٢).
وأولى من يؤخذ منه تفسير كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هم صحابته الكرام -رضي الله عنهم أجمعين-.
وتفسير الجماعة المرادة في هذا الحديث فسره العالم الرباني والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.
فعن عمرو بن ميمون قال : قدم علينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوقع حبه في قلبي ، فلزمته حتى وارىته في التراب بالشام. ثم لزمت أفقه الناس بعده عبد الله بن مسعود، فذكر يوماً عنده تأخير الصلاة عن وقتها فقال : صلوا في بيوتكم ، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة. قال عمرو بن ميمون : فقيل لعبد الله بن مسعود: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي : يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك (٣).
وعن الحسن البصري قال : السنة، والذي لا إله إلا هو، بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها رحمكم الله ؛ فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي؛ الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذاك إن شاء الله فكونوا.

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، فإن تعريف أهل السنة والجماعة يمكن أن يقال بأنهم : من وافق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - قولاً وعملاً على منهاج الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- .
ومن خلال النظر في منهج أهل السنة، وفي حال أهل البدع نجد أن لأهل السنة خصائص ومميزات تميزهم عن غيرهم ، وهذه الخصائص والمميزات نتيجة للمنهج العقدي الذي يتميزون به عن غيرهم.
ولذلك فإننا نذكر هنا أهم مميزات وخصائص عقيدة أهل السنة والجماعة:

١ - فالميزة الأولى هي : أنها ربانية المصدر :

وهذه أعظم ميزة لعقيدة أهل السنة، فهي تعتمد على الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وأمره أن ينذر الناس به ، كما في قوله تعالى : ((قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ)) [الأنبياء:٥]، وقال عن السنة أنها هي المبينة للكتاب ، فقال سبحانه وتعالى : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل:٤] ، ولذلك كل من ترك النظر والاستدلال بالكتاب والسنة فهو ضال ، ولا يغني في النجاة أن يتمسك بالتمسك بأحدهما دون الآخر، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» (٤) ، فعدم الضلال مناط بالتمسك بالكتاب والسنة معاً، فمن تمسك بأحدهما وترك الآخر ضل. فالخوارج تمسكوا بظواهر القرآن فقط فكانوا من أعظم أهل البدع بدعة.

وعن هذه الميزة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «ولكن ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته ، فلما عرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ((قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْبَتُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)) [طه:٢٣، ١٢٤] ، قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية (٥).

ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضللال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله ، وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك ، وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين ، قال تعالى : ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) [الأحقاف:٢٦].

ولو نظرنا في تاريخ الفرق لعلمنا أن جميع العقائد المحدثه كانت بعد عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وعهد أبي بكر وعمر وعثمان ، ثم كان مقتل عثمان - رضي الله عنه - وبدأ بذلك ظهور البدع ، حيث ظهرت الخوارج في عهد عليّ - رضي الله عنه- ، ثم تشعبوا وانقسموا إلى فرق عديدة. وكذلك لو نظرنا إلى المعتزلة - مثلاً - لوجدنا أن الاعتزال ظهر على رأس المائة الأولى، وذلك عندما تكلم وأصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة ، ثم جاء عمرو بن عبيد، ثم النظام والجبائي والعلاف وغيرهم ، حتى تأسس للمعتزلة عقيدة لم تكن من قبل. وقل مثل ذلك في كل الآراء التي حدثت بعد قرن الصحابة وأخطاء أصحابها في فهم عقيدة السلف بسبب النقص في العلم أو بسبب الهوى واتباع المتشابه.

الميزة الثانية أنها: عقيدة إجماعية :

فهذه العقيدة عقيدة مجمع عليها بين الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - والله عز وجل يقول : ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ

وسَاءَتْ مَصِيرًا)) [النساء: ١٥]، وعلى هذا فكل من خالف هذه العقيدة فقد خرج عن إجماع الصحابة.

والناظر في عقيدة أئمة علماء المسلمين المتفق على فضلهم وإمامتهم بين جمهور المسلمين يجد أنهم على هذه العقيدة الصافية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أن من العلماء الذين هم على عقيدة أهل السنة والجماعة : جيل الصحابة - بلا استثناء - ، ثم من بعدهم أئمة التابعين كسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وعروة بن الزبير، وغيرهم، ثم جاء من بعدهم سفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو إسحاق الفزاري ، وابن عيينة والإمام مالك ، ثم الإمام أحمد بن حنبل ، والشافعي، والإمام البخاري ، والإمام مسلم ، وأصحاب السنن الأربعة، وغيرهم من العلماء كثير. وبذلك نعلم أن هذه الأمة مهما تفرقت واختلقت فإنها لا يمكن أن تجتمع أبداً إلا على هذه العقيدة، وكل من حاول أن يجمع صفوف المسلمين على غير عقيدة أصلاً !! أو على عقيدة غير عقيدة أهل السنة ، فإنه ولاشك يروم المستحيل ، وكما قال الإمام مالك في كلمته المشهورة عنه : «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

الميزة الثالثة أنها: العقيدة المنجية:

فالعقيدة أهل السنة هي عقيدة الفرقة الناجية: لأنها هي التي سارت على منهج الصحابة -رضوان الله عليهم - وما زاغت ولا بدلت ، وهي التي وصفها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنجاة، وذكر أن غيرها متوعدة بالنار، فجميع الفرق داخلة تحت الوعيد، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى:- (وأما على رواية من قال في حديثه «كلها في النار إلا واحدة» ، فإنما يقتضي إنفاذ الوعيد ظاهراً، ويبقى الخلود وعدمه مسكوتاً عنه... إذ الوعيد بالنار قد يتعلق بعصاة المؤمنين ، كما يتعلق بالكفار على الجملة، وإن تباينا في التخليد وعدمه) (٦).

وهذه العقيدة هي المنجية للإنسان من عذاب الله في الآخرة لمن تمسك بها وعمل بمقتضاها، وكذلك هي المنجية للإنسان في الدنيا: منجية له من البدع والضلال ، والحيرة والشك والخرافات. والذي ينظر في سير أهل البدع يجد أنهم يعيشون في اضطراب وشك وحيرة وظلمات بعضها فوق بعض. وأما أهل السنة والجماعة فهم على يقين من دينهم يعرفون ربهم ويعبدونه على بصيرة وحب وطمأنينة، والناظر في حياتهم يجد عجباً من علو الإيمان ، ولذة المناجاة وما ذلك إلا لمعرفتهم الله سبحانه وتعالى وماله من صفات عليا وحكمة بالغة ورحمة واسعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة» (٧)، ويقول - عندما سجن - : «ما يصنع أعدائي بي ؛ أنا جنتي في صدري ، إن رحمت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة» (٨)، ويقول عنه ابن القيم : «وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهام نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضائق بنا الأرض ، أتيناها ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فاتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها» .
يتبع

الهوامش :

- ١ - انظر المستدرک ١/ ١٢٨،
- ٢ - أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في السنة / ٦٣، وصححه الألباني ، وهو في صحيح سنن ابن ماجه / ٣٢٢٦.
- ٣ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٠٨، - ١٠٩،
- ٤ - حسنه محقق جامع الأصول ١ / ٢٧٧.
- ٥ - انظر تفسير ابن جرير ١٦ / ١٤٧،
- ٦ - الاعتصام ١ / ١٩٨،
- ٧ - الوابل الصيب / ٦٠.
- ٨ - المصدر السابق / ٦٠.

خواطر في الدعوة مازق البعد الواحد

محمد العبدية

بعض الناس إذا سمعوا قول القائل : (الناس أبناء ما يحسنون) أو قول الشاعر :
كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب
أو قول أحد الحكماء : «الشرف بالهمم العالية لا بالرغم البالية» .. إذا سمعوا هذا يأخذون منه استبعاد الأنساب وعدم الاهتمام بها وأنها لا تدخل في أي تقويم للإنسان ، والحقيقة أن مثل هذا الكلام إنما يوتى به لمعالجة من يقتصرون على مآثر الآباء والانشغال بذكرها والاكتفاء بها، عن الجد والعمل ، ولاشك أن صاحب همة عالية مغمور النسب أفضل من صاحب نسب دنيء النفس.
فالذين يأخذون هذا الجانب (النسب لا أهمية له) يتركون الجانب الآخر وهو أنه في مجرى العادات ، فإن كرم الأعمام والأخوال مظنة الفضائل؛ فإنه لا يكون النخل من الحنظل ولا العكس.
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل
فلا تعارض بين قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) وبين السؤال عن معادن الناس وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»، وهذا كما في الفرد كذلك في الشعوب والقبائل، فبعض الشعوب لها خصائص معينة، وفيها ميزات يجب أن يستفاد منها، دون إحياء لنعرة عنصرية أو قومية ضيقة.
ومن أمثلة الوقوع في النظرة الأحادية الذين يظنون أنه بإصلاح شعبة من شعب العلوم أو الدعوة تنصلح الأمور كلها، فمن يعتقد أنه بتحقيق المخطوطات وتصفية التراث سيحل المشكلة فهو مخطئ، ومن يظن أنه بإصلاح الوعظ والخطب وتبليغ الناس بشكل عام سيحل المشكلة فهو مخطئ، وقل مثل ذلك فيمن يرى أنه بتأليف الكتب وحدها وإلقاء المحاضرات والدروس ، فهذه كلها وسائل للهدف المنشود، وهناك وسائل أخرى غيرها، وكل واحدة بمفردها لا تستطيع الحل ، فلا بد من

الشمولية ليس في التنظير فحسب ولكن في التطبيق والعمل ، وإذا اجتهد مسلم في جانب من هذه الجوانب وأتقنه وتفرغ له فلا بأس ، ولكن عليه أن يعلم بأنه يقوم بجزء وأن إخوة له يقومون بسد باقي الثغرات، فيتعاونون كلهم ويكمل بعضهم بعضاً، فإن هذا الدين لا ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه .

فكر التفكير الذري

محمد محمد بدري

لكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالطريقة التي يفكر بها صاحبه ، فإذا أصيب التفكير بمرض من الأمراض أو انعدم التفكير تماماً فإن ذلك النشاط يصبح مختلاً أو مستحيلاً !!
ولقد أصيب كثير من المسلمين بمرض خطير يجعلهم في حيرة أمام كثير من أمور الواقع لا يقدرون على فهمها، فما هو هذا المرض؟! إنه مرض «الذرية» أو (الجزئية) في التفكير وهو مرض يمنع صاحبه من أن يربط بين الأحداث والوقائع ، بحيث يجعلها داخلة تحت قاعدة واحدة أو يستخلص منها حقيقة كلية عامة، فالمصابون بهذا المرض ينظرون إلى الوقائع والأحداث حولهم وكأنها ذرات متناثرة لا يربطها أي رباط عضوي أو يجمعها سياق واحد، وبالتالي لا يستطيع هؤلاء أن يستنتجوا قانوناً عاماً يمكن تطبيقه على كل حالة خاصة، فتكون قراراتهم في مواجهة الأحداث قرارات عاطفية لا تركز على مبادئ محددة أو أصول واضحة.
أصاب هؤلاء مرض «الذرية» لبعدهم عن عرائس الحكمة ولباب الأصول التي دونها علماء الأمة في كتبهم، والتي توصلوا إليها باتخاذهم القرآن أنيساً وجليساً على مر الأيام والأعوام نظراً وعملاً، وباستعانتهم على ذلك بالاطلاع والاحاطة بكتب السنة ومعانيها، وبالنظر في آراء السلف المتقدمين والالتزام بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه.
تلك الأصول التي تربي من يقرأها على طريقة التفكير العضوية -أو الكلية- التي تجمع بين الوقائع في تسلسل وسياق واحد يمكنها من استنباط بالقانون العام - أو المقياس - الذي تقيس به الحوادث الجزئية.

فالإمام الشاطبي -رحمه الله- يقول :

«الأدلة المعتبرة هنا المستقرة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد ، حتى أفادت فيه القطع ، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للاقتراق ، ولأجله أفاد التواتر القطع - وهذا نوع منه - ، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم فهو الدليل المطلوب - وهو شبيه بالتواتر المعنوي - بل هو كالعلم بشجاعة عليّ -رضي الله عنه- ، وجود حاتم الطائي المستفاد من كثرة الوقائع المنقولة عنهما» (١).

فهو -رحمه الله- يعرض كيفية اقتناص القطع من جملة أدلة ظنية، فلم يفتقر في الحكم بشجاعة عليّ -رضي الله عنه- إلى دليل خاص يقول بأن عليّ شجاع.. ولكن باستقراء حوادث كثيرة تتحدث عن مواقف شجاعة لعليّ -رضي الله عنه-.

«فالعموم إذا ثبت فلا يلزم أن يثبت من جهة صيغة عموم فقط، بل له طريقة أخرى، وهي استقراء مواقع المعنى حتى يحصل منه في الذهن أمر كلي عام ، فيجري في الحكم مجرى العموم المستفاد من الصيغ» (٢).

فالشاطبي -رحمه الله- يصف هنا طريق الوصول إلى الأمر الكلي العام.. إلى القاعدة.. إلى المقياس.. عن طريق تصفح جزئيات المعنى.

ومن وصل إلى القاعدة الكلية استطاع أن ينزل على مقتضاها كل الجزئيات التي قد تخالف بظاهرها هذه القاعدة..

يقول الشاطبي -رحمه الله- : «وهذا الوضع كثير الفائدة عظيم النفع بالنسبة إلى المتمسك بالكليات إذا عارضها الجزئيات وقضايا الأعيان ، فإنه إذا تمسك بالكلي كان له الخيرة في الجزئي ، في حمله على وجوه كثيرة» (٣).

وإذن فلا يكفي النظر في الأدلة الجزئية دون النظر إلى كليات الشريعة، وإلا تضاربت الجزئيات وعارض بعضها بعضاً في ظاهر الأمر.

ولقد عالج ابن تيمية -رحمه الله- مرض الذرية في التفكير بما سطره في كتابه القيم: (اقتضاء الصراط المستقيم) ، فروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا (٤)؟ فسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج فكأنما فقىء في وجهه حب الرمان ، فقال : «أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم من قبلكم بمثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء، انظروا الذي أمرتكم به فاعملوا ، والذي نهيتكم عنه فانتهوا».. يقول ابن تيمية -رحمه الله- : «وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه» ا هـ.

فالجمع بين أطراف الأدلة وعدم النظر إليها نظرة جزئية ذرية هو طريقة أهل السنة والجماعة ، وكم من ساعات تمر بسبب نقاش بين طرفين من الناس لو كان عندهم وضوح في فهم المسألة المتنازع فيها وجمعوا أطرافها وجزئياتها فربما لم يكن للنقاش مبرر.

وما نقلناه عن عالمين من علماء الأمة ، وإن كان يعالج مرض الذرية، في جانبه النظري إلا أن العلم - كما يقول الشاطبي - إنما يراد لتقع الأعمال في الواقع على وفقه من غير تخلف ، سواء كانت الأعمال قلبية أو لسانية أو من أعمال الجوارح (٥).

فكل علم لا يفيد عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه (٦).

وختاماً نرى أن مبادئ الإسلام هي الحصن الذي ستفشل تحت أسواره جميع المحاولات التي تستهدف سلب المسلم شخصيته وهويته ، فعلينا العودة إلى الأصول والمنابع التي منها نبع ديننا.

ولنجعل لكتب الأصول مكاناً في قراءات كل منا ، فنحن نجد فيها «الإبرة المغناطيسية» التي تساعدنا للوصول إلى فهم قضايانا المعاصرة، وتخلصنا من الخضوع في حركتنا لأخصائيين يشرفون عليها ، كما لو كانوا يمارسون لوناً من «لعبة الأمم المكيافيلية»، وتخلصنا قبل ذلك كله من الكساح العقلي ومن الذرية في التفكير.

الهوامش :

١ - الموافقات ١ / ١٣ - ١٥ ،

٢ - الموافقات ٣ / ١٨٨ ،

٣ - الموافقات ٣ / ١٦٧ .

٤ - ينظرون في القرآن نظرة جزئية ذرية.

٥ - الموافقات ١ / ٩٩.

٦ - الموافقات ١ / ٦١ .

مراجعات في عالم الكتب الإسلام وحاجة الإنسانية إليه الدكتور / محمد يوسف موسى

عرض وتقديم : محمد السيد المليحي

تعبيراً عن فضل الدين الحنيف علينا، وتجسيداً لدوره القيم فينا نقدم عرضاً متواضعاً لهذا المؤلف الطيب الذي جمع بين دفتيه كثيراً من سمات الإسلام ، وعديداً من خصائصه التي تعين الفرد على السير قدماً نحو التقدم والرقي في الدنيا، وتضمن له حياة هنيئة مريئة في الآخرة ، فقد حرص الكاتب في كتابه هذا على إبراز غايته التي قصد إليها في هذا الكتاب في سمتين عظيمين :

١ - القصد المباشر نحو الفكرة التي يرنو إليها الكاتب ، دون اعوجاج أو تحذلق .

٢ - التذليل على الرأي بأسس ومبادئ علمية، وعرضها بصورة علمية صحيحة.

التعريف بالدين :

ففي الفصل الأول استعرض الكاتب فكرة الدين وأن الغريزة (١) الدينية وجدت مع الخليقة منذ النشأة الأولى، ولكنها - كما يقرر المؤلف - حادت بعض الشيء عن الطريق المعين لها. ولذلك نجد الرسل لم يتحدثوا إلى الناس في خلق هذا الشعور الديني ، ولكنهم قاموا بتوجيه هذه الميول الوجهة الصحيحة لتصل إلى الدين الحق ، ولهذا يكون الوحي الإلهي رحمة للناس جميعاً، إذ يهدي النفوس الضالة، ويساعد العقل على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها على الإنسان . ونخلص من هذا الفصل إلى أن الدين أمر طبيعي غريزي في الإنسان أصيل في أعماق شعوره وأحاسيسه.

وهنا يقول الكاتب : «إن الاعتقاد في شيء أو كائن ما أو قوة من القوى والتدين به أمر طبيعي في الإنسان، وحاجة من حاجات النفس تهيمن على المرء طول حياته ، ومن ثم لا بد من إروائها وإشباعها ، كسائر حاجات النفس الطبيعية الأخرى».

الحاجة إلى الإسلام :

تناول المؤلف في الفصل الثاني مضمون الفكرة التي قام عليها الكتاب، فاستفتح الحديث عن تخبط الشعوب وتيه الأمم من جراء اليهودية المتعصبة، والمسيحية المحرفة، والزرادشتية المضللة ، والمزدكية التي تدعو إلى الإباحية الجنسية، وغيرها من الديانات التي عاشت في وجدان وعقول البشرية، فأضلت كثيراً من الشعوب ، وأصمت العديد منها عن الوعي السديد ، والحس المستنير، وجمدت حريات الغالب منها واعتقلت آراءهم وأفكارهم.

ومن خلال التناول العلمي لصور الديانات القديمة والحديثة، خرج علينا المؤلف بدور الإسلام الحنيف ، وحاجة الإنسانية الماسة إليه خاصة بعد ما حرم اليهود وحلّلوا لأنفسهم، وبعد ما

سيطر رجال الكنيسة على الحياة العلمية والعملية بصورة حمقاء، تصور الدين بأنه عدو للعلم ، وحجر عثرة لكل تقدم ورقي .. وتأتي أهمية الإسلام لتحمي الشعوب من الخلط في الأنساب، وتفشي الأمراض التي جاءت من دعوة المزدكية للإباحية الجنسية المطلقة، إذ ذهب مؤسسها «مزدك» إلى أن أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها، اشتراكهم في الماء والنار والكلاء. ويعلق الكاتب على جدال النصارى وعقائدهم بقوله : لقد كان الإسلام ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى، وقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته.. وهكذا كانت الإنسانية تتطلع منذ زمن طويل إلى دين جديد عادل رحيم ، وكان هذا الدين هو الإسلام الحنيف ، خاصة بعد أن أفلست كل نظم العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو لإنكار وجود الله ، والتحلل من المسؤولية وفاضل الأخلاق.

من خصائص الإسلام:

نأتي إلى الفصل الثالث حيث يدلل المؤلف على أن الإسلام دين ضروري تحتاج إليه الإنسانية احتياجاً ماساً وشديداً، ففي هذا الفصل يعرض لنا الكاتب بعضاً من خصائص الإسلام التي تنقذ البشرية من هذا التخبط، وتعيد لها صياغتها على الوجه الأكمل ، ومن هذه الخصائص التي جاءنا بها الكاتب :

١ - الوحدة الدينية :

وفي هذه الخبيصة جسد لنا المؤلف هذه السمة التي انفرد بها الإسلام حين ذكر لنا ما قامت به الرسالة المحمدية من نفي لجميع الالهة التي كان الناس يعبدونها في ذلك الوقت ، ووحدت العقيدة وأفردت العبادة لإله واحد لا شريك له ، عالم بكل صغير وكبير في كونه ، محيط بكل شيء ومدبر لكل شيء.

ويذكر الكاتب هنا أن الإسلام لم يكتف بإقرار هذا التوحيد للإله الذي يستحق العبادة، بل بين لنا أن كل الرسل دعوا إلى هدف واحد، ورسالة من الله تعالى للبشرية بعامه تعينهم على الحياة الفاضلة والمطمئنة في ظل طاعة الله وتوحيده.

ثم جاء الكاتب بآيات من الذكر الحكيم تدل على هذه الحقيقة، فقد جاء في آخر سورة البقرة (آية ٢٨٥) : ((أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))، وقال أيضاً في نفس السورة آية ١٣٦ : ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))

٢ - الوحدة السياسية :

جاء الإسلام وكان حال الأمة العربية يرثى له ، حيث كان التفكك والتمزق والحمق والعداء، فكانت الحروب تقوم بين القبائل على أضعف الأسباب ، وتستمر أياماً ، بل وشهوراً ، وبعضها ظل سنيناً إلى أن جاء الإسلام.

فقد فض الرسول الكريم النزاع الذي ظل زمناً طويلاً بين الأوس والخزرج ، وأخى بين المهاجرين والأنصار، وغرس في قلوب أصحابه حب الخير والسلام ، ودعا الناس إلى التوحد والتجمع

والتزاور والتشاور، ونهى عن الخصام والعزلة عن الجماعة، وهنا يقول الكاتب: كما كان من أثر هذه الوحدة السياسية التي جاء بها الإسلام وعمل بها الرسول والمؤمنون، أنه لما لحق - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى، واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لهم، رأى الأنصار أن لهم حقاً في أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرهم للإسلام ورسوله، ولكن أبا بكر والمهاجرين جميعاً - على عرفانهم فضل الأنصار ومآثرهم - ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش لما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. وهكذا قضي على النزاع وانتهى الأمر واستقر بينهما.

وفي هذا السبيل، سبيل المحافظة على وحدة الأمة السياسية يرى فقهاء الإسلام أنه لا يجوز أن يكون هناك أكثر من خليفة في الأمة الواحدة.

٣ - الإسلام دين يحض على التفكير :

أعرب الكاتب عن هذه الميزة التي جاء بها الإسلام، ودعا إليها في صورة جليلة وساطعة تقوم على الأدلة المستمدة من الكتاب والسنة، فقد أعرب عن كون الإسلام دين يدعو إلى التفكير والتدبر، وأنه أدى رسالته نحو العقل والعلم، كما أفصح عن حقيقة هامة يجب أن لا يغفل عنها، ولا يغفل عنها من استفاد منها وهي: «دور العلم الإسلامي في التقدم والرقي الذي أضحي عليه العالم الغربي في العصور المتأخرة، ومن الأسس والأدلة القرآنية التي أتى بها الكاتب، لكي يثبت دعوة القرآن إلى العلم والتعلم والفكر والتفكير قوله تعالى: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [البقرة: ١٦٤]». وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي تدعو إلى العلم حين قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، إلى غير ذلك من آيات وأحاديث نبهنا إليها الكاتب تدعم ما جاء به الإسلام لإحلال العقل محله المناسب.

وإذا كان الإسلام يحض هكذا على ملاحظة الكون وظواهره، وإعمال العقل والفكر في كل ما يحيط بالإنسان، وسائر ما خلق الله من الكائنات، فما هذا إلا لأنه يريد منا أن نطلب العلم بكل سبيل، ونترفع عن التقليد الأعمى، ونبذل في سبيل العلم كل ما نملك من طاقات. فالإسلام دعوة إلى استعمال العقل والفكر في شتى نواحي الحياة.

٤ - الإسلام دين الحرية والمساواة :

إن الحرية في الإسلام أصابت الحظ الوافر من التشريع الإسلامي، بل ومن الإسلام نفسه، فقد كانت النواة الأولى للحرية في الإسلام ممثلة في التحرر من عبادة الأصنام والسجود للألوهة المتحجرة والمتعددة، وإلى عبادة إله واحد لا شريك له.

ومع ذلك فإن الإسلام لم يجبر غير معتنقيه على الدخول فيه، قال تعالى: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ))، وقوله للرسول - صلى الله عليه وسلم - في سورة يونس: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))، ويأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالألتفات عن عمله عن التبليغ والانداز، وهذا نراه في قوله تعالى: ((إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ)) وقوله: ((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ))، وآيات كثيرة تجعل من العبادة مكنوناً جوهرياً لا دخل لأحد فيها سوى الإنسان ذاته.

ومن أسس الحرية التي جاء بها الكاتب في هذا الكتاب القيم الاجتهاد في التشريع مع ما يتمشى والكتاب والسنة، ويذكر الكاتب هنا رأياً عظيماً للفقهاء في هذه المسألة، حيث يقول: إن الفقهاء يؤمنون بالحرية والمساواة ، ودليل على ذلك حين يكون هناك طفل غير معروف نسبه مع مسلم وكافر، فقال الكافر هو ابني، وقال المسلم هو عبدي ، يحكم الفقهاء في هذه القضية ببنة الابن للكافر من قبيل الحرية.

أما في جانب المساواة فقد أقر الكاتب أن التفاضل بين الناس في الدنيا يكون بالتقوى والعمل الصالح ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) ، والرسول الكريم يقول : « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى »، هذا وللحرية والمساواة جوانب كثيرة وعديدة خصصها لهما الإسلام، وشرعها لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٥ - الإسلام دين ودولة :

يبين الكاتب في هذه النقطة وتلك السمة أن الإسلام لم يكن عقيدة دينية فقط ولا نظاماً أخلاقياً فحسب ، بل هو دين ودولة، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلالات. فقد نظم الإسلام للإنسان المسلم حياته ومعاملاته مع أسرته ومع الناس ، وبين له سبل النجاح والردى في الحياة، ودله على الطريق الذي يؤدي به إلى العيش الهادئ المطمئن ، ففي جانب العبادات بين الدين الحنيف طريقة العبادة لله تعالى، وأعرّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كيفية التعبد لله سبحانه ، أما في جانب التعامل في الحياة العامة فقد رسم لنا القرآن الكريم في شخص رسول الله ص الحالة التي يجب أن يكون عليها الإنسان المسلم والوجه الصحيح الذي لا بد وأن يصبح عليه المسلم الأمر الذي لم يدع جانباً واحداً من جوانب الحياة إلا وكان للإسلام دور رائد فيه. وهنا يقول الكاتب : ومن هنا يحق للإسلام أن يكون دستوراً أزلياً يحكم به ، وتقوم شريعته لتفصل بين الناس ، وتقضي بينهم بما أمر الله تعالى، فمن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن أراد الفلاح والنجاح بدونه خسر وخاب ، وضل عن الطريق السديد. وإن لم يكن للإسلام دور في هذا العالم المعاصر، فلا بد أن ننتظر تخبطاً واضطراباً وتيهياً أكثر مما نعيشه الآن، وذلك لأن المولى عز وجل قال وقوله الحق : ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)) .

الهوامش:

١- استخدم الكاتب مصطلح الغريزة الدينية، ولو استخدم مصطلح الفطرة الدينية لكان أدق. "التحرير"

مفاهيم إدارية التنظيم

سامي سلمان

هذا رجل منظم في حياته ... هذه مؤسسة تتسم بجوانب تنظيمية جيدة ... إن انسياب الأوامر الإدارية يسير في نظام محكم ... إن تحقيق الأهداف المتمثل في هذا المستوى الرفيع ليدل دلالة واضحة على عمق التنظيم الذي يؤدي دوره في هذه المؤسسة.

٣ - كثرة الشكاوي من عدم وضوح الأهداف العامة والأهداف المرحلية لعدم كفاءة السلطة الإدارية أو الهرم التنظيمي الذي يمكن المسؤولين على اختلاف مستوى مسؤولياتهم وتخصصاتهم من مسايرة الإدارة العليا لكثير مما تطمح إليه.

٤ - يكتنف كثيراً من هذه المؤسسات غموض التخصصات وتداخلها ، مما يقتل الإبداع في المجال التخصصي ، وبمعنى أوضح : فإن عدم إتاحة الفرصة لأصحاب التخصصات بإبراز ما تميزوا به التنظيم عن طريق مشاركة غير مؤهلين للمتخصصين يسيء إليهم ، ولا يجعلهم يبرزون في تخصصاتهم.

٥ - يشيع في مثل هذه المؤسسات عدم التناسب بين السلطة والمسؤولين والصلاحيات ، فنجد المعادلات الصعبة في وجود أصحاب مسؤولية بدون صلاحيات ، وأصحاب صلاحيات بدون مسؤوليات ، وسلطات موزعة بمقاييس لا تمت إلى الإدارة الحديثة بصلة.

٦ - من ذلك أيضاً غموض العلاقة بين الاستشاريين والتنفيذيين ، فتجد التداخل في هذا المفهوم يعم أرجاء المؤسسة ، مما يؤثر بشكل واضح على كيفية اتخاذ القرارات على كل مستوى. وأضف إلى ما ذكرت سابقاً سوء تحديد العدد المناسب من المرؤوسين تحت رئاسة المدير ، وعدم تفويض السلطة بالشكل المناسب ، وإغفال العوامل الفنية والإنسانية التي تؤثر في اختيار درجة المركزية واللامركزية.

وبعد هذا العرض للظواهر السلبية لكثير من المؤسسات التي لا يتوفر فيها مفهوم التنظيم الإداري ذي الكفاية نعرض مزايا التنظيم بشكل مختصر:

١ - انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر، حيث يتم تحديد الأعمال والمراحل التي تمر بها ، والأشخاص الذين يؤدونها.

٢ - تحديد الاختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات ، بحيث يعرف كل فرد واجباته الأساسية والفرعية والإضافية، وعلاقة وظيفته بالوظائف الأخرى ، ويبين لكل قسم وإدارة حدود صلاحياتها وعلاقاتها بالأقسام والإدارات الأخرى . فلا يحدث تنازع في الاختصاصات أو تضارب في السلطات.

٣ - الاستغلال الكفء للإمكانات المتاحة (خبرات وجهود العاملين) والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها، وتحقيق التنسيق والتكامل بين تخصصات العاملين وخبراتهم ومهاراتهم ، وبين الإدارات والأقسام ، فيزيد احتمال الوصول إلى الأهداف المحددة بقدر كبير من الفعالية. وبناء على ذلك يتحقق التعاون والانسجام بين الأفراد والجماعات فتسير العلاقات الوظيفية، والاجتماعية بأقل قدر ممكن من التنافر والاحتكاك.

وقد استطاعت نظريات علم التنظيم الحديثة الوصول إلى تحديد ما يسمى بالأسس العلمية للتنظيم السليم، والتي يفترض أن تكون مترابطة ترابطاً وثيقاً فيؤثر بعضها في بعض ، ويزداد عمق الحاجة إليها جميعها أو بعضها، حسب حاجة كل تنظيم إداري لأي مؤسسة. وسنذكر بعض ما اتفق عليه.

١ - وحدة الهدف :

لكل عمل هدف رئيسي تكونت من أجله المؤسسة ابتداءً، وهذا الهدف كي يتحقق لابد من تعريفه بصورة واضحة، ثم تقسيم الأهداف إلى أهداف جزئية وفرعية ومرحلية ، يكون بينها وحدة واتساق توصل بمجموعها إلى تحقيق الهدف الرئيسي.

٢ - التخصص وتقسيم العمل :

إن اختيار العناصر المتخصصة التي تتقن العمل جزء لا يتجزأ من عملية التنظيم ، مما يتيح للعاملين التطور في مجالات تخصصهم وزيادة مسؤولياتهم ، وذلك بمساعدة رؤسائهم.

٣ - تسلسل خطط السلطة :

ويقصد بها تدرج حجم ومستوى السلطة المعطاة ، ومستويات التنظيم الإداري ، والتي تتوزع بشكل مناسب في الهياكل التنظيمية مع مستويات التنظيم الرئيسية الثلاثة : الإدارة العليا، الإدارة الوسطى، والإدارة التنفيذية : فلا تتركز السلطات في إحدى الحلقات دون الأخرى.

٤ - وحدة الأمر :

وهو نتيجة طبيعية للأسس السابقة، ونعني به توحيد جهة التلقي للتعليمات من قبل رئيس أو مدير واحد، وذلك حرصاً على تحديد المسؤوليات وضمان التنسيق وتوحيد الجهود وعدم بعثرتها، وفي المقابل فإن عدم مراعاة هذا المفهوم يسبب ارتباكاً سيئ الأثر في العمل وفي نفوس المرؤوسين ، نتيجة لتعدد مصادر التوجيه والتلقي.

٥ - تناسب السلطة والمسؤولية :

وهي إحدى المعادلات الصعبة ، ونعني بالسلطة : الصلاحيات المخولة لشاغل وظيفة معينة، وتتضمن حق إعطاء الأوامر والحصول على الأداء والمردود من المرؤوسين ، وحق اتخاذ القرارات. ويقرن بالسلطة عادة مفهوم آخر وهو القوة ، والتي تعزز السلطة ، وتعني : القدرة على توجيه سلوك الآخرين والتحكم فيه ، وهي حصيلة مركبات معينة يمكن اختصارها ب :

١ - الثواب.

٢ - العقاب.

٣ - قوة الشخصية.

٤ - القدرة والخبرة والمعلومات.

٥ - القدرة المستمدة من المنصب.

أما الطرف الآخر من المعادلة ، وهي المسؤولية ، فتعني الالتزام من جانب المسؤول بما تتطلبه وظيفته من أعباء ومهام لتحقيق أهداف تلك الوظيفة، فيسأل عن نتائج عمله ، وكل رئيس يسأل عن النتائج المترتبة على أدائه وأداء مرؤوسيه.

أما المقصود بالمعادلة فهو التوازن بين السلطة والمسؤولين ، حتى يستطيع القيام بواجباته الفعلية المطلوبة منه. فمن الخطر أن تكون هناك سلطات واسعة ومسؤوليات قليلة، ومن الإجحاف أن تكون هناك مسؤوليات كبيرة وصلاحيات قليلة .

تربية**المدرسة الابتدائية بين الثواب والعقاب****عدنان محمد عبد الرزاق**

لازال موضوع الثواب والعقاب يشغل بال كثير من المربين والآباء والباحثين ، وإنهم وإن اتفقوا على الثواب وطرقه وفائدته ، فقد كثر جدلهم حول العقاب وما يتركه من أثر ، وخاصة أشد

مراحل «العقاب الجسدي» ، وانقسموا فيه بين مانع ومطلق ومقيد، وإنني إذ أتناول هذا الموضوع المهم ، أترك الباب مفتوحاً لكل رأي وخبرة، لعلنا نصل بتوفيق الله إلى الصواب.

الثواب أثره وطرقه :

الثواب، الثناء، الشكر، المحبة، والعطف، الاهتمام، كلها ترفد مصباً واحداً، وقد فطرت النفوس على حب من أحسن إليها، فطبيعة النفس البشرية تحب الثناء والشكر محبة اعتدال ، لأن زيادة الثناء والعمل من أجله قد يؤدي إلى الرياء وجاءت كثير من النصوص تلبي هذه الحاجة الفطرية. قال تعالى : ((وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا)) [الكهف: ٨٨]. ((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)) [الرحمن: ٦٠] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له [البيهقي] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه أحمد والترمذي بسند صحيح.

إن الطفل يحب من يهتم به ، ويعطف عليه ، لأنه يريد معرفة ردود الفعل على ما يقوم به من أعمال في عقله؛ لتصبح في المستقبل علامات لسلوكه وتصرفاته ، وكثير ممن انصرفوا بسبب فقدان هذا الاهتمام والمحبة، وآخرون يعملون أعمالاً لينالوا رضا مربيهم، والمربي يلاحظ هذا وذاك ويوجه ويساعد على التوازن.

ألا نلاحظ كيف يغار الإخوة من المولود الجديد، وما ذلك إلا لشعورهم بأنه استأثر أو سوف يستأثر بالأبوين على حسابهم ، ولذلك كان من هديه - صلى الله عليه وسلم - العدل بين الأبناء. ابتسامة رضى من مرب... أو مسحة رأس .. أو كلمة طيبة: جزاك الله خيراً، أحسنت ، كل ذلك وسائل تفعل فعلها والتوسط في توزيعها، وتجديد أساليبها وطرقها شيء مطلوب ، ورتابتها والإكثار منها يفقدها قوتها، وإخطار أولياء الأمور بالثناء المكتوب له أثر طيب ، وربما يكون حافزاً للمزيد من العطاء.

العقاب :

من الطبيعي أن يخطئ الإنسان ، «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ، هذا الكبير، فكيف بالصغير، وقد رفع عنه القلم.. لماذا؟ لأن نموه العقلي لم يكتمل بعد ولم يميز.

وفي بعض البلدان يسمون الأطفال «الجهال» ، فهذا الجاهل الذي أعذره الله إذا وقع منه خطأ هل نتركه...؟ طبعاً لا، لابد من العلاج، وكلمة العلاج تسوقنا إلى مثال طبي. لو جرحت يد أحد من الناس يداويها بالدواء الابتدائي السهل فإن برأ فذاك ، وإن زادت يرتقي بالدواء. وقد ذكر القرآن الكريم التدرج بالعقوبات في معالجته للخلافات الزوجية.

وقد اتفق المربون على الابتعاد عن الكلام الجارح ، والتوبيخ الذي ينتقص من شخصية الطفل ، أو يسبب له ردود أفعال سيئة، واتفقوا أيضاً على أن يكون كل ذلك بين المربي والتلميذ ، وليس أمام أحد من الناس.

ولكن تبقى هناك مشكلة اختلف المربون وهي: هل يضرب الولد أم لا؟ وحتى تأخذ هذه المسألة أبعادها؟ لابد من معرفة متى يستحق التلميذ العقوبة؟ ونحن نعتقد أن هناك سببين لذلك :

١- ما يتعلق بالدرس والتحصيل.

٢- ما يتعلق بالسلوك والتربية.

فالأول إما أن يكون سببه المدرس والمنهج ، وهذا لا علاقة للتلميذ به ، أو أن التلميذ مقصر في الاجتهاد والواجبات ، فهنا لكل حادث حديث عندها يبحث المربي عن الأسباب الحقيقية لهذا التقصير

ويتصل بالبيت ويتعاون مع الأهل ، حتى يضعوا العلاج ولو أدى الأمر إلى صرف التلميذ إلى مجالات مهنية.

وأما السبب الثاني وهو الخطأ في السلوك والتربية ، فالكذب ، والحيل ، والسرقه ، والاعتداء ، والغياب عن المدرسة. وهنا سأضرب مثلاً لحالة من الخطأ السلوكي (السرقه) وطرق علاجها:

١ - الطريقة الأولى: أخذ التلميذ وضرب ضرباً شديداً حتى لا يعود لمثلها، وربما كان ذلك أمام أقرانه. ثم إذا حدثت أي سرقات في المستقبل يشيرون إليه، ولو كان بريئاً وسمي من قبلهم سارقاً.

٢ - الطريقة التربوية في العلاج : يؤخذ الطالب ويبحث معه ومع أهله (إذا لزم الأمر) عن الأسباب الدافعة للسرقه، بتكتم ورفق. وأسباب السرقات عند الأطفال معروفة فهي إما عن حاجة أو عبث أو نكاية بزميله ، أو غير ذلك ، وإذا عرف السبب عولج الأمر من جذوره.

فالمربون المتخصصون يقولون: لكل حالة عندهم حل ، يعتمد على التربية وعلم النفس والتجربة، وأن الضرب لا يحل المشكلة ، بل عندهم هو المشكلة ، إذ يكون مدخلاً لانعدام التوازن النفسي عند التلاميذ مما يكون له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع.

وأيدهم في هذا الرأي ممن استرشد بأثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل قول السيدة عائشة - رضي الله عنها-: ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحداً قط بيده ولا أمره، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله». رواه مسلم.

وعن أنس - رضي الله عنه- قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ، فما قال لي قط : أف ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا. متفق عليه. وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضاً : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم .

وحين كان أبو بكر - رضي الله عنه- يضرب غلاماً: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم- : انظروا إلى هذا المحرم ماذا يفعل .. ومعلوم أن الضرب لا يفسد الإحرام.

كما أيد منع الضرب كثير من الدول التي تعطي الأولوية لبناء مجتمع، سليم من أساسه يحترم فيه الفرد ليعود نفعه على المجتمع في المستقبل . ودول أخرى وإن لم يكن هذا همها إنما أيدت المنع لما ترتب على الضرب من آثار جسدية سيئة على الأفراد، فأحصائيات وزارات التربية والداخلية مليئة بملفات قضايا ضرب الأولاد في المدارس وما ترتب عنه ابتداءً من الكدمات والجروح، مروراً بفقدان الحواس مثل السمع والبصر والأسنان ، انتهاء بالوفاة ، فأرادت أن تطوي صفحة من تلك الأمور ومنعت .

أما الذين سمحوا بالضرب فقد احتجوا ببعض الآثار: مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود والترمذي.

وقد رد المانعون على أن الحديث في الصلاة للأب فقط ، وليس المربي مثل الأب وخاصة مع غياب المربي الناجح. وآية سورة النساء التي تبيح ضرب الزوجة من قبل زوجها فقط.

وهناك فريق ثالث قال: نحن مع المربين في ضرورة حل المشاكل بالطرق التربوية،

والمحافظة على توازن التلميذ، ونحن لسنا مع المؤيدين للضرب لما يترتب على ذلك من آثار جسدية ، ونفسية واجتماعية ، ولكن ألا يوجد بعض الحالات الشاذة التي لا ينفع فيها نصح ولا موعظة ولا علم نفس: ماذا نفعل؟ نرى أنه لا مانع بعد استنفاد كل الوسائل التربوية ، وبشرط أن

يكون الضرب غير مبرح ويتجنب الوجه والأماكن الحساسة. واشترط بعضهم إذن الأهل المسبق ، أو حصر ذلك بإدارة المدرسة ؛ لئلا يتوسع بهذه الرخصة، أيد هذا الرأي بعض الدول ، وكذلك بعض المهتمين بأمور التربية، وعلم النفس ، وهذا ما تميل إليه النفس . والله أعلم .

البيان الأدبي

بين جيلين

د. عمر عبد الله

توقف مفاجئ ومرعب أيقظ صاحبنا من نعاسه الثقيل، ليستيقظ على صوت الكابح المزعج، وقاصطدم رأسه في النافذة الجانبية لسيارة الأجرة، سائق سيارة الأجرة يتحفز وهو غاضب ، ويلقي بسيل من الشتائم والكلام السوقي القذر لصاحب السيارة التي كادت تصطدمه ، سائق السيارة الأخرى يخرج ليلقن سائق الأجرة درساً في القيادة والأخلاق، لكن سائق سيارة الأجرة يتلافاه ويمضي في طريقه ليكمل إطلاق عبارات الشتائم والسباب، التي انتشلت من الراكب وزوجته التي ترافقه طعم النوم ، والنعاس ، حتى «معاذ» الطفل الصغير أخذ يطلق معزوفة من البكاء المتواصل ، جعلت من الصعب على «جمال» أن يلتقط سيل الشتائم المنطلق من في السائق الزنجي المتوتر،.. لقد كانت رحلة مضنية، غير خلالها ثلاث مطارات ، وقضى ١٥ ساعة في الجو خلال اليوم الماضي ، حتى وصل إلى نيويورك في هذا الصباح الخريفي المتثائب ، وبعد أن طار النوم من عينيه أخذ يتأمل في ما حوله ، إنه يعبر الآن إلى «مانهاتن» ، وكأنه يمر على هذا الجسر المتهاك لأول مرة، كلا لقد عبره مرات ومرات ، لكن المرة الأولى التي مر عليه فيها لازالت ملتصقة بذاكرته بوضوح ، كانت المرة الأولى التي يغادر فيها وطنه مع أبيه وهو ابن خمس سنين ، لازال يذكر حالة الذهول والانبهار التي انتابته حينما وصل إلى نيويورك ، كان الوقت قريباً من عيد رأس السنة المسيحية والمدينة غارقة في بحر من الأضواء والزينات، زادت من حالة التحديق التي انتابت ذلك الصبي الذي انتقل من مدينته الصغيرة الصحراوية ، والتي كانت وكأنها تعيش عصراً آخر لا يمت بصلة لهذه المدينة، الحلم ، ومنذ أن لامست قدماه أرض المطار الضخم وصلاته الواسعة وهو لا يستطيع إلا أن يعيش حلم اليقظة الجميل ، حتى الطرق السريعة التي لم يع حقاً ضخامتها وسرعتها ، كانت بمثابة طائر عملاق يطير بأجنحة متعددة، أما الفندق الذي نزل فيه وأبوه وأمه فإنه كان آية في الفخامة والرقى المادي ، الذي بدا خيالياً لابن الخامسة، بل حتى بالنسبة لأبيه وأمه اللذين حاولا التكيف مع هذا الكم الهائل من المشاهد والصور والمتغيرات بصورة بدت مبالغاً فيها حيناً، ومضحكة أحياناً أخرى، مضحكة له الآن .. لكنها لم تكن تعني شيئاً كثيراً من معاني السخرية والتناقض لذلك الصبي..، مضحكة تلك اللحظات والمواقف التي تفرض على مخلوق لا يملك حيالها سوى المضي والانكسار، مضحك ذلك المنظر عندما كانت أمه تحاول أن تظهر بمظهر «غربي» متحضر حينما «فرض» عليها من والده ، كانت المرة الأولى التي تلبس ملابس غربية ، وهي التي لم تفارق عباؤها وخمارها قط ، مضحك أن يقلد عصفور النورس طاووساً حينما يستعير بعض الريش الملون، عله يكون مألوفاً في مجتمع الطواويس، كذلك بدا له المنظر باعثاً للحيرة والاضطراب لوجه ألفه لسنوات في وضع معين ليجده فجأة وبدون مقدمات وكأنه لا يمت للمخلوق الذي أحبه بشدة، وعشقه بإخلاص ، لم يكن ذلك المنظر سوى صورة واحدة

لمشاهد صدم بها وظلت في ذاكرته مختزنة لسنوات طويلة، صوت الكابح يقطع حبل تفكيره مرة أخرى.. لكنه يكتشف سبب الخطأ هذه المرة..، إنه سائق سيارة الأجرة، وليس السيارة «المظلومة» التي كال لها السائق الزنجي سيلاً من شتائم العنيفة مرة أخرى، كاد أن يرد على سائق الأجرة اللامبالي، لكنه فضل أن يستمر في تداعياته، لاسيما وأنه لا يملك النشاط ولا الرغبة في الحوار، لقد ضبطتك سائق الأجرة، هذه المرة، قال لنفسه: إن سائق الأجرة ينظر إلى ذلك المنظر العجيب الذي جري في المقعد الخلفي، وهذا هو السبب في أصوات المكابح المتكررة، لقد بدت على سائق سيارة الأجرة علامات الدهشة الصامتة، وصور التساؤل المحير الذي عصف بجمال وهو صبي، حينما تعرض لمواقف من التناقض، والحيرة المتتالية، سائق الأجرة لازال يسترق النظر إلى الراكب ومرافقيه، وعيناه تكادان تنفجران بالتساؤل الملح الذي لم يترجم إلى كلمات، بل إلى أخطاء قيادية كادت أن تؤدي بالمركبة إلى جانب الانحدار الخطر. فجأة نطق السائق:

- من أي بلد أنتم؟

جانب الحذر الذي انغرس في التعامل مع الآخرين علم جمال أن يكون لطيفاً بحذر.

- من الشرق الأوسط.

- أين يقع الشرق الأوسط.. أفي إسرائيل؟

- كم هو عجيب أن تكون صورة العالم مشوهة إلى هذا الحد في ذهن الأمريكي، لم يتغير الحال حتى بعد عقدين من معاشرته للقوم، وبعد أحداث صاغت حياة كثير منهم ودفعتهم للاهتمام بهذا الجزء من العالم، رد بصورة نمت عن رغبة في إنهاء الحوار.

- ليس قريباً منها إنها جزء يبدو أنها منه!

لقد فهم مغزى السؤال، فمنظر زوجته التي تخمرت ولم يبد من وجهها سوى العينين كان مبعث السؤال ولا شك.. وتنهد.. تنهد حينما قارن بين وضع أمه قبل عقدين وهي تحاول أن تبدو «منسجمة» مع المحيط الجديد، ومنظر زوجته وقد تميزت بذلك الزي الذي يبعث على التساؤل، ويصر على الذاتية، كلا الوضعين مثير، ويبعث التساؤل والاستفهام، لكنهما يمثلان تصوراً لجيلين، وعهدين، وموقفين، جيل أبيه الذي كان يحاول أن يجد الجواب في «الذوبان» في الآخر، المنتصر، وجيله الذي رأى خسارة الرهان على المشروع المجلوب بوضوح، رآه هزائم، وانكسارات، وتبعية، وتسلاً، من الآخر المنتصر، للضعيف المغلوب على أمره المسحور بلب العدو وطبوله، وكأنه تداو بسم بدا لذيذاً وشهياً، مرة أخرى، صوت الكابح وتوقف مستمر، لكن إيذاناً بالوصول إلى الفندق هذه المرة، أخذ جمال عائلته الصغيرة وتوجه نحو موظفة الاستقبال؛ ليسجل المعلومات الضرورية، ويأخذ طريقه نحو الغرفة، ومرة أخرى انتابه شعور آخر يختلف تماماً عن الشعور الذي أحس أنه يجتاح أباه وأمه وطفلهما ابن الخمس، فحينما أتوا نيويورك قبل عشرين عاماً كان كل شيء ساطعاً، وكل مكان يروونه باهراً، وكل لحظة يمرون بها أقرب للحلم، أما اليوم فإن هذه المدينة لا تثير في نفسه شيئاً من ذلك، فلا الشعور بالصدمة الحضارية يغشاه، ولا الضخامة المادية تثيره، فليس هناك أمر مادي يقرب نحو دائرة العجب، ولا لحظة يراها تثير فيه الانبهار، لقد تقلص الحاجز كثيراً بين مدينته الصحراوية، ومدينة الخرسانة العملاقة التي أخذت في دخول عصر الشبخوخة، وتعرض آلامها وأمراضها، نيويورك تلك لا تمت بصلة إلى هذه، لا شعوراً، ولا واقعاً، وبالتالي تحجم الدهشة، والتحديق، والانبهار، والإعجاب، قد تقلص كثيراً و كثيراً، ولم يبق لديه في تلك اللحظة سوى رغبة ملحة لأن ينال قسطاً من الراحة بعد هذه الرحلة المرهقة، سرعان ما تحققت حينما ألقى بجسده المنهك على الفراش ليغط في نوم عميق...

اقذفونا بالحجارة (شعر)

شعر : مروان كجك

اقذفونا بالحجارة واعرضونا للتجارة
نحن أولى من يهود فاقذفونا
بالحجارة
قد كذبنا وانتشينا وسرقنا وارتشينا
وظلمنا كل طفل وجنين في المحاره
فاقذفونا بالحجارة
لم ندع فينا شريفاً أو عصامياً نظيفاً
لم ندع شيخاً كفيفاً لم يذق منا المرارة
فاقذفونا بالحجارة
نحن بعناكم جهاراً لم نجد في الأمر عاراً
وعصينا الله فيكم وانخدعنا بالشطارة
فاقذفونا بالحجارة
نحن جرأنا اليهودا ومنحناهم عهداً
واحتزنا كل رأس لا يرى هذي الحضارة
فاقذفونا بالحجارة
لم نرم فيكم صلاحاً أو نضالاً أو كفاحاً
لم ندع فيكم رماحاً فانهزمتنا عن جداره
فاقذفونا بالحجارة
نحن أكثرنا الملاهي ورمينا بالدواهي
وقتلنا كل ناهي قد رمانا بالقذارة
فاقذفونا بالحجارة
نحن أقسمنا اليمينا وحنثنا فابتلينا
واحتلنا فرضينا وفررنا عن مهارة
فاقذفونا بالحجارة
نحن أرسينا السجوننا وملأنا الأرض هوناً
وبثناها عيوننا واستهنا بالخفارة
فاقذفونا بالحجارة
نحن أسلمنا القيادا لعدو قد تمادى
ومنحناه المرادا فرأى فينا انتصارا
فاقذفونا بالحجارة
قد كنزنا المال كنزاً وحسبنا الأمر أجزى
وحرمتنا الشعب خبزاً وضمننا بالخسارة

فأقذفونا بالحجارة
نحن فرقنا الصفوفا نحن أرغما الأنوفا
وذفناكم أوفاً في انتشاء وحراره
فأقذفونا بالحجارة

الصفحة التعليمية علامات الترقيم

جواباً على طلب بعض القراء وضعنا هذه الصفحة التعليمية التي نطرح فيها موضوعات تتعلق بلغتنا العربية. وسوف يكون العرض ميسراً وسهلاً ما أمكننا ذلك. وفي هذا العدد نتكلم عن علامات الترقيم : صورتها أو شكلها، أين توضع ، وكيف؟ ومثال على استعمال كل منها.

١- علامة الترقيم : الفاصلة (،)

أين توضع وكيف : بعد النداء، وبين أجزاء الجمل
المثال : يا باغي الخير، أقبل ، ويا باغي الشر، أقصر.

٢- علامة الترقيم : الفاصلة تحتها نقطة (؛)

أين توضع وكيف : بين جملتين إحداهما سبب حدوث الأخرى
المثال : إن كنت مسافراً ؛ فودع أهلك.

٣- علامة الترقيم : النقطة (.)

أين توضع وكيف : في نهاية الفقرة أو المعنى
المثال : خير الناس أنفعهم للناس.

٤- علامة الترقيم : النقطتان (:)

أين توضع وكيف : قبل القول المنقول أو ما في معناه
المثال : قال الله تعالى : ((عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ)).

٥- علامة الترقيم : علامة الحذف (...)

أين توضع وكيف : للدلالة على كلام محذوف من النص
المثال : وقف في ساحة المدرسة ... ثم أنشد

٦- علامة الترقيم : علامة الاستفهام (?)

أين توضع وكيف : بعد صيغة السؤال أو الاستفهام
المثال : ما مهنتك؟

٧- علامة الترقيم : علامة التعجب (!)

أين توضع وكيف : بعد كلمة أو جملة أو معنى متعجب منه
المثال : ما أجمل أيام الربيع!

٨- علامة الترقيم : علامة الاقتباس (" ")

أين توضع وكيف : يوضع بينهما كلام منقول

المثال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :- «لا ضرر، ولا ضرار».

٩- علامة الترقيم : الشرطة المعترضة (-)

أين توضع وكيف : توضع قبل وبعد الجملة الاعتراضية
المثال : إني - والحمد لله - بخير.

١٠- علامة الترقيم : القوسان الحاصرتان ([])

أين توضع وكيف: يوضع بينهما كلام ليس من النص أصلاً، أو زائد عليه.
المثال : إن فلسفة شوبنهاور [فيلسوف ألماني مشهور] تشبه فلسفة أبي العلاء المعري.

١١- علامة الترقيم : القوسان (())

أين توضع وكيف : يوضع بينهما أرقام أو مرجع داخل النص
المثال : خرجت فرنسا مدحورة من الجزائر عام (١٩٦١)(١).

الهوامش:

١- يمكن الاستئناس بالصفحة الأخيرة من هذا العدد كمثال تطبيقي لاستعمال بعض علامات الترقيم.

تاريخ

ابن سبأ في كتابات المعاصرين

د. محمد أمحزون

إذا كانت شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية، المتقدمة والمتأخرة على السواء، فهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال : يوليوس فلهاوزن (١)، وفان فولتن (٢)، وليفي ديلافيدا (٣)، وجولد تسيهر (٤)، ورينولد نكلسن (٥)، وداويت رونلدرسن (٦) ... على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني(٧)، وبرنارد لويس (٨)، وفريد لندر المتأرجح(٩) .

كما أن شخصية ابن سبأ تبقى محل اتفاق عند المحدثين من أهل السنة ما عدا فئة قليلة ممن تأثروا بمنهج الاستشراق (١٠)، أو ممن حجبهم الغموض الذي أثاره غيرهم حول شخصية ابن سبأ ، فلازموا الإنكار (١١)، وفي أحسن حال شكوا في أمره (١٢)، أو تذبذبوا بين الإنكار تارة، والإقرار بوجوده تارة أخرى(١٣).

وبالنسبة للشيعفة المعاصرين ، فأغلب ما كتبوه عن ابن سبأ ، إنما هو إنكار لوجوده ، فهو عند بعضهم أقرب إلى الوهم منه إلى الوجود (١٤)، وعند البعض الآخر أقرب إلى الخيال والأسطورة منه إلى الواقع (١٥).

أما المستشرقون فقد كان هدفهم من ذلك التشكيك أو الإنكار هو ادعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم ، وأن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة هو نوع من الدفاع عن الصحابة ، لجأ إليها الإخباريون والمؤرخون المسلمون ، ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى.

على أن إنكار بعضهم لشخصية عبد الله بن سبأ إنما يرجع إلى رغبتهم في الانتهاء إلى النتيجة التالية: لا حاجة لمخرب يمشي بين الصحابة، فقد كانت نوازع الطمع وحب الدنيا والسلطة مستحوذة عليهم ، فراحوا يقاتلون بعضهم بعضاً عن قصد وتصميم ، يقول أحدهم بأن ابن سبأ

ليس إلا شيئاً في نفس سيف أراد أن يبعد به شبح الفتنة عن الصحابة، وأنها إنما أتت من يهودي تستر بالإسلام (١٦).

والقصد من ذلك الاساءة إلى الإسلام وأهله ، وإلقاء في روع الناس أن الإسلام إذا عجز في تقويم أخلاق الصحابة وسلوكهم وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمدة وجيزة، فهو أعجز أن يكون منهجاً للإصلاح في هذا العصر.

وجرياً وراء منهج المستشرقين في التشكيك في شخصية ابن سبأ، والتهوين من خطر العناصر المخربة في الإسلام ، انساق بعض الباحثين العرب إلى التهوين من شأن ابن سبأ، أو حتى إنكار شخصيته واعتبارها شخصية أسطورية.

يقول أحد هؤلاء المشككين : «أراد خصوم الشيعة - يقصد أهل السنة - أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد له والنيل منهم» (١٧).

ثم يتساءل في خبث : «أكان لابن سبأ أن يجد مجالاً لبث أفكاره بين من هم أكثر منه علماً ودراية بأحكام الإسلام» (١٨).

هذا وقد بنى شكه في هذه القضية على سببين باطلين هما:

أولاً: زعمه أن هذه القصة قد اختلقها أهل السنة للتشنيع على الشيعة، وقد كان عليه قبل أن يلقي بظلال الشك جزافاً، وذلك دأبه ، أن يتأكد على الأقل من أن هذه القصة انفردت بها مصادر أهل السنة، وأن مصادر الشيعة قد خلت منها، وهو أمر لم يكلف نفسه عناء البحث فيه ، لأن منهجه الذي سار عليه في كتاباته هو الشك وإساءة الظن بالآخرين والقذف بالاتهام دون تثبت. والزمع بأن أهل السنة اختلقوا هذه القصة باطل ، لأن مصادر الشيعة هي الأخرى أثبتتها كما سلف ذكره. فالشيعة إذاً متفقون مع أهل السنة على أن عبد الله بن سبأ هو الذي أوج نيران الفتنة على عثمان -رضي الله عنه- ، وهو الذي أظهر العداة لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذي أظهر الغلو في علي -رضي الله عنه- وقال بالنص على إمامته ، إلى غير ذلك من معتقداته الباطلة.

وبهذا يسقط اعتراض طه حسين على القصة بزعمه أنها من مفتريات أهل السنة، وحاشاهم ذلك ، إذ يتعذر اتفاق جميع مصادرهم على الكذب ، بل كان غالبية أصحابها من العلماء الثقات المشهود لهم بتحري الصدق فيما يكتبونه وينقلونه.

ثانياً: أما اعتراضه الثاني ، وهو إكباره للصحابة بأن يستطيع مثل ابن سبأ أن يفعل ما فعل ، فليس هذا إكباراً وإنما هو رغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة ضد عثمان، فهو يعلم أن ابن سبأ بث أفكاره بين دهماء الناس وعامتهم ، وليس بين الصحابة، وهؤلاء الدهماء كان لهم دور مؤسف في قتل أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- ، وفي معركة الجمل ، وما أعقبهما من نكبات ومصائب. أما الشيعة فيرجع سبب إنكارهم لوجود ابن سبأ فيما يبدو إلى عقيدته التي بثها وتسربت إلى فرق الشيعة، وهي عقيدة تتنافى مع أصول الإسلام ، وتضع القوم موضع الاتهام والشبهة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لما للعداء التاريخي في نفوس الشيعة نحو الصحابة، ورغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة بينهم.

على أن من طعن من الشيعة في وجود شخصية ابن سبأ فقد طعن بالتالي في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودي الماكر، وكيف يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول! مع أنه لا يجوز في معتقد الشيعة تكذيب المعصوم !!

وفي الختام يتأكد بعد استقراء المصادر سواء القديمة والمتأخرة، عند السنة والشيعة، أن وجود عبد الله بن سبأ كان وجوداً حقيقياً تؤكد الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال، والأنساب والطبقات، والأدب واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين (١٩).

ويبدو أن أول من شكك في وجود ابن سبأ بعض المستشرقين، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المحدثين، بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من بين الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بأراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الظنون والفرضيات.

الهوامش :

- ١ - يوليوس فلهاوزن : الخوارج والشيعة، ص ١٧٠.
- ٢ - فان فولتن : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ص ٨٠.
- ٣ - Levi delavida , the Encyclopedia of Islam Vi , P: 51
- ٤ - جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٢٩.
- ٥ - نكلسن : تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية و صدر الإسلام، ص ٣٣٥.
- ٦ - رونلدسن : عقيدة الشيعة، ص ٥٨.
- ٧ - كيتاني : حوليات الإسلام، ج ٨، سنة ٣٣ - ٣٥، ص ٤٢ (نقلاً عن الدكتور عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين، ج ٢، ص ٣٠-٣١).
- ٨ - برنارد لويس : أصول الإسماعيلية، ص ٨٦.
- ٩ - انظر عبد الرحمن بدوي : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣.
- ١٠ - مثل طه حسين : الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص ٩٠ - ٩١.
- ١١ - مثل عبد العزيز الهلابي : عبد الله بن سبأ، ص ٧٣.
- ١٢ - أمثال علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص ٢٨، ومحمد عمارة : الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، ص ١٥٥.
- ١٣ - مثل جواد علي الذي يبدو التناقض في كلامه عند حديثه عن السبئية، فتارة يقر بوجودها وبدورها في الأحداث فيقول : «والظاهر أن السبئية كانت من أكثر الكتل السياسية التي ظهرت في أيام عثمان نظاماً» (مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس، ص ٨٤)، ثم يقول بأن السبئية - في نظره - هي المسؤولة عن قتل الخليفة عثمان (المرجع نفسه، ص ١٠٠)، وتارة أخرى يكاد يجعل من السبئية أسطورة أقرب منها إلى الواقع، ويستهي من شأنها (مجلة الرسالة، عدد ٧٧٨، ص ٦٠٩ - ٦١٠)، ويأخذ على الإمام الطبري ورواياته تضخيم دور ابن سبأ في مصر وإثارته الفتنة فيها، ويقول : إن أحداً من الرواة غير «يزيد الفقعسي» لم يذكر هذه الآثار لابن سبأ في مصر، وقد غاب عنه رواية الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق) التي لم يكن راويها هو يزيد الفقعسي، بل جاءت من طريق أبي حارثة وأبي عثمان قالوا: «لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستخلامهم واستخلوه، وعرض لهم بالكفر فأبعدوه، وعرض لهم بالشقاق فأطمعوه، فبدأ بالطعن على عمرو بن العاص وقال : ما باله أكثركم عطاءً ورزقاً؟» (تهذيب تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٤٢٣).
- ١٤ - أمثال علي الوردي : وعاظ السلاطين، ص ٢٧٣، وكامل مصطفى الشبيبي : الصلة بين التصوف والتشيع، ص ٤١ - ٤٣.

- ١٥ - أمثال عبد الله الفياض ، تاريخ الإمامية، ص ٩٥، ومرضى العسكري: عبد الله بن سبأ، ج ١ ، ص ١٤٨
- ١٦ - وهو فريد لندر الذي كتب عن ابن سبأ مقالاً نشرته المجلة الآسيوية الصادرة بألمانيا عام ١٩٠٩ م. انظر: عبد الرحمن بدوي : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣،
- ١٧ - طه حسين : الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص ٩٠،
- ١٨ - طه حسين : الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ١٣٢ - ١٣٤،
- ١٩ - أمثال محمود شاكر: الخلفاء الراشدون، ص ٢٢٥، ويوسف العث : الدولة الأموية، ص ٦٦ - ٦٩، ود. عمار الطالبي : آراء الخوارج ، ص ٦٦ - ٦٧، وسعيد الأفعاني : عائشة والسياسة، ص ٦٠، ود. محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص ١٠٩ ، ود. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ، ج ٢، ص ١٧ - ٢٤، وإحسان إلهي ظهير: الشيعة والسنة، ص ٢٩ - ٣١، ود. سعيد الهاشمي : ابن سبأ، مقال نشره في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٢٠١ وما بعدها، ود. عزة عطية: البدعة، ص ٧٣، وأنور الجندي : طه حسين وفكره في ميزان الإسلام ص ١٧١، ومحب الدين الخطيب : حاشية العواصم ، ص ٤ - ٥٧، وإبراهيم شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ١٤٧.

من أرشيف البيان تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ - ٣١٠

محب الدين الخطيب - رحمه الله -
مفارقات :

من عجيب المفارقات في تاريخنا وتواريخ الأمم الأخرى ، وفي موقفنا من تاريخنا ومواقف الأمم الأخرى من تاريخها ، أن نكون أغناهن جميعاً في كل ما يبني به تاريخ الأمة من أنباء ونصوص ومراجع وقرائن وإشارات وتحقيقات ، ثم نبقي أفقرهن وأقلهن انتفاعاً بهذه الثروة في إقامة معالم تاريخنا على أساسها ، بينما الآخرون قد أحدثوا - حتى من الأوهام - مكتبات جديدة لأجيالهم وجماهير قرائهم، حافلة بالطلی الشهي من صفحات ماضيهم، فوثقوا أو اصر خلفهم بسلفهم، ويسروا لهم القدوة الحسنة بعظمة العظماء من نوابغهم، بعثوا لهم من ذلك الماضي صوراً حية ترتفع الرءوس بأمجادها، وتمتلئ القلوب بإجلالها واحترامها، وتطمئن العقول إلى تعليل تصرفاتهم والاعتبار بها ومواصلة السير نحو أهدافها.

مواطن ضعف :

ومواطن الضعف - التي أدت ببعض معاصرنا من حملة أمانات التاريخ العربي والإسلامي إلى أن يكون انتفاعهم بهذه "التركة" ضئيلاً - لا يكاد يأتي عليها الحصر - ومما يتبادر إلى الذهن منها الآن أمران :

أولهما : أن الذين تتقفوا منا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم "غرباء" عن هذا الماضي ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين . بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل أصرة له بماضي العروبة والإسلام ، لنلا يتهم في زعمه بالعصبية لهما ، فوضع نفسه في موضع التهمة بالتحامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين في ارتياهم حيث تحسن الطمأنينة ، وفي ميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشياء الدلائل عليه . ولو أن إخواننا هؤلاء نشأوا على الإيمان بأنهم هم أصحاب هذه "التركة" ، وبأن هذا الماضي ماضيهم ، وأن جيلنا حلقة في سلسلة هذا الماضي ، وأن أحداثه ثروة لنا في القدوة والاعتبار ، لنظروا إليه بعين الأم إلى ابنها، إن لم ينظروا إليه بعين الابن إلى أمه ، ولا يكون ذلك إلا بتبني هذا التاريخ ، والحرمة له ، وبت الحياة في أمجاده ، والحرص على استجلاء جماله ، وإبراز فضائله ، وتحري مواطن العظة والاعتبار في أخطائه ، وحسن التعليل لذلك بالرفق والإنصاف وكمال التقدير . على أنه إذا كان هذا حال أهل الصبر منا على البحث والدرس ، فما بالك بالآخرين الذين قد تقع أنظار الواحد منهم على بحث فحج لمستشرق ناشئ أو منسي ، فينتحل ذلك البحث من غير تعب ، ويزعمه لقرائنا مبتكراً من عنده ، وينقله لنا محرف الأعلام ، متضارب الأحكام ، مزدوج العي ، ملتهب الحماسة في التحامل حتى على الفضائل عندما ينظر إليها - بعينه أو بعين من ترجم عنه - من وراء منظار أسود . ذلك أحد مواطن الضعف في دراستنا لتاريخ العروبة والإسلام ، أما المواطن الآخر فهو ما لاحظته على بعض المعاصرين لنا من اشتباه الأدلة التاريخية عليهم ، وحيرتهم بين جيدها وأجودها ، بل فيهم من لا يميز بين الجيد منها والردىء ، مع أن ذلك كان في متناول يده لو سبق له معرفة موازين رواتنا في النقد ، أو وقف على مناهجهم في التأليف ومصطلحاتهم في الرواية ، ومراميمهم في الاستشهاد .

وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠) لأتحدث عنه إلى إخواني المشتغلين بالتاريخ ، ممن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل ، لأنني رأيت منهم من يظن أن إيراد الطبري لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسئولية الخبر الذي أورده ، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر ، وأن الأخبار التي يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده ، وأن عزوهم الخبر إلى الطبري ودالاتهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال ، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر ، ويبقى الطبري هو المتحمل لمسئولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم . إن ظنهم هذا لا يغني من الحق شيئاً ، وإن الطبري ليس هو صاحب الأخبار التي يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون في الأقدار ، وأخبارهم ليست سواء في قيمها العلمية، ولا يتم اعتبار الطبري مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها ، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها ، ففيها ما يعد من سلسلة الذهب ، وفيها ما لا تزيد قيمته على قيمة الخزف ، ولكل ذلك نقاده وصيارفته وتجاره، وهم يعرفون أقدار هذه الأخبار عند التعريف بأقدار أهلها ، وقديماً قيل : وما أفة الأخبار إلا رواتها .

أنى لك هذا ؟

إن كل خبر في تاريخ الطبري ، بل كل نص يتناقله أهل العلم في أجيال الإسلام ، له عند أهله قيمه رفيعة أو وضيفة ، على قدر شرفه أو خسته بالرواة الذين ينتسب إليهم ذلك الخبر أو ذلك النص .

فشرف الخبر في التراث الإسلامي تبع لصدق راويه ومنزلته من الأمانة والعدالة والتثبت ، لذلك امتازت كتب سلفنا الأول بتسمية الرجل المسئول عن أي حديث نبوي يوردونه فيها ، وبيان المصدر الذي جاءوا منه بأي خبر تحدثوا به إلى الناس . ولو لم يسموا الرجل المسئول عن الحديث النبوي عند إيراده ، ولو لم يبينوا المصدر الذي حصلوا منه على أي خبر يودون ذبوعه بين الناس ، لطالبهم بذلك علماء الثقافة الإسلامية بأشد من مطالبة المحاكم من يدعي ملكية العقار أو الحقل بما يثبت ملكيته له ومن أين صار ذلك إليه ؟

وإذا كان مبدأ "أني لك هذا" مما سنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مشروعية امتلاك الأموال ، فإن أبناء الجيل الذي منه عمر بن الخطاب هم الذين سنوا للناس بعدهم وجوب بيان مصادر العلم ، كما سنوا لهم وجوب بيان مصادر المال ، والعلم أثنى عندهم من المال وأشرف ، وأنفع منه وأبقى . نحن نعتبر تاريخ الطبري الآن من أقدم مصادرنا ، وكان تاريخ الطبري في النصف الثاني من القرن الثالث (أي قبل أحد عشر قرناً) يعد من مصادر التاريخ الإسلامي الحديثة بالنسبة إلى المصنفات التي دونت قبله بثلاثة بطون ، بل بأربعة . ولعل أقدمها مغازي مؤرخ المدينة موسى بن عقبة الأسدي المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وهو الذي يقول فيه الإمام مالك : "عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة ، وهي أصح المغازي" وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعقمة بن وقاص الليثي ، ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمي الكوفي المتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ ، وله في سنن الترمذي حديث واحد ، والطبري يروى عنه بواسطة ، أي عن شيوخه وهم عن شيوخهم الذين كانوا تلاميذ لسيف . ومن طبقة تلاميذ موسى ابن عقبة مؤرخ الشام أبو إسحاق الفزاري الحافظ المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، وهو حفيد أسماء بن خارجة الفزاري وكان له كتاب في التاريخ أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في "مقدمة أصول التفسير" (١)، بعد أن قال : "إن أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة، ثم أهل الشام ، ثم أهل العراق ، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم . ولهذا أعظم الناس كتاب أبي إسحاق الفزاري الذي صنفه في ذلك ، وجعلوا الأوزاعي أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار" .

ويأتي بعد تلاميذ موسى بن عقبة طبقة يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد ابن العاص الأموي المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، ومن مؤرخي الشام الوليد بن مسلم أبو العناس الدمشقي مولى الأمويين المتوفى سنة ١٩٥ هـ ، ومحمد بن عمر الوافدي المدني قاضي العراق المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ثم كاتبه المؤرخ الحافظ الثقة محمد بن سعد بن منيع البصري (١٦٨ - ٢٣٠) . ومن هذا الجو العلمي استمد أبو جعفر الطبري هديته الكبرى إلى الأمم الإسلامية بما سجله وخلده من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمن التابعين والصحابية ، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أثر عن الأئمة الذين سمينا بعضهم إلا وقد دون طرفاً منه ، ناسباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم .

الأخبار الضعيفة عند الطبري :

لم يقتصر الطبري على المصادر التي أشرت إلى بعضها ، بل أراد أن يقف قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيها من نقص ، كما صنع بنقله كثيراً من أخبار أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذي قال فيه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال : "أخباري تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره" وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال مرة : ليس بشيء . وقال ابن عدي :

شيوعي محترق ، صاحب أخبارهم. مات قبل السبعين ومائة". فقد نقل الطبري من أخباره في مئات المواضع ، ولو أن الذين ينقلون عن الطبري ويقفون عنده ، استقوا أخبار من لوط بن يحيى هذا واكتفوا بعزوها إلى الطبري لظلموا الطبري بذلك ، وهو لا ذنب له بعد أن بين لقارئه مصادر أخباره ، وعليهم أن يعرفوا نزعات أصحاب هذه المصادر ويزنوها بالموازن العادلة اللائقة بهم وبها. إن مثل الطبري ومن في طبقتهم من العلماء الثقات المتثبتين - في إيرادهم الأخبار الضعيفة- كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره . وهكذا الطبري وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبر مهما علموا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي . إلا أنهم يوردون كل خبر معزواً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواته ثقات أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ، ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم ، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الطبراني من لسان الميزان :

"إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوععة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهده ، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده" .

ومن فوائد إيراد الحادث الواحد بأخبار من طرق شتى وإن كانت ضعيفة قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة تفسير القرآن (ص ٣٠ - ٣١): "إن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول (أي بالقدر المشترك في أصل الخبر) لكن هذا ينتفع به كثيراً في علم أحوال الناقلين (أي نزعاتهم والجهة التي يحتل أن يتعصب لها بعضهم) وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول ، والسيئ الحفظ ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك، ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ويقولون: إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد: "قد اكتب حديث الرجل لأعتبره" .

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبري - لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم . دليل على حريرتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الباب ، واثقين من أن القارئ الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبي مخنف موضع تهمة - هو ورواته - فيما يتصل بكل ما هم متعصبون له ، لأن التعصب يبعد صاحبه عن الحق . أما سعة الصدر في إيراد أخبار المخالفين فهي دليل على عكس ذلك ، وعلى القارئ الحصيف أن يأخذ ما صفا ويدع ما كدر ، وأن يستخلص الحق عند ما يكون موزعاً أو معقداً .

الانتفاع بأخبار الطبري :

إنما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل . فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في الأكثر في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي . وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تهذيب الكمال للصفى الخزرجي وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر . والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر في لسان الميزان. وفي طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير . وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا نعرف أمة عني مؤرخوها

بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها كما عني بذلك علماء المسلمين . وإن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم . ولا يتعرفون إلى رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذلك الخبر إلى أن الطبري رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار، ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح الحديث ، وأنسوا بكتب الجرح والتعديل ، واهتموا برواة كل خبر كاهتمامهم بذلك الخبر لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي ، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وبعد فإن تركة سلف هذه الأمة - في كل ضرب من ضروب المعرفة - من أنفس ما ورثت عن أسلافها، وقد كانت لعلمائنا الأقدمين مشاركة في علوم كثيرة ، فجاءت مؤلفاتهم مرتبطة بعضها ببعض ومكتملاً بعضها لبعض . والذي ألفوه في التاريخ واعتمدوا فيه على الرواية ، مبالغة منهم في أداء الأمانة كاملة وافية ، لا يجوز لمن ينقله عنهم أن يقصر في عرض تلك الأخبار على قواعد علم الرواية وعلى المعاجم المؤلفة في تراجم الرواة ، وإن لم يفعل أخطأ الطريق ، وكان عمله خارجاً عن مناهج العلماء .

عن مجلة الأزهر ، المجلد ٢٤

١- ص ٢٢ طبع السلفية .

واحة البيان

مرزوق النفيعي

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله :

أما بعد : فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد ، فإذا هممت بظلم أحد ؛ فاذاك قدرة الله عليك ، وأعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم ، باقياً عليك ، واعلم أن الله أخذ للمظلومين من الظالمين ، والسلام .

* * *

قال الحسن البصري :

من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزم في لين، وحرص على علم، وقناعة في فقر، وإعطاء في حق ، ويسر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال .

* * *

من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - :

رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها .

[زاد المعاد ١/٢٦٣]

* * *

قال أبو علي الروذباري :

صحبت عبد الله بن المبارك في إحدى أسفاره ، فلما دخلنا البادية قال :

تكون الأمير أم أكون ؟ قلت : بل أنت ، قال : فعليك السمع والطاعة ، فأخذ المخلاة ووضعها على عاتقه ، فقلت : دعني أحمل عنك ، فقال : أنا الأمير أم أنت ؟ فقلت : أنت ، فمكثنا ذات ليلة إذ أخذ المطر ، فأخذ الكساء فأظلني وترك نفسه إلى الصباح ، فوددت أني مت ولم أقل كن أميراً ، فلما أردت الافتراق قال : يا أبا علي ؛ إذا صحبت إنساناً فاصببه هكذا .
* * *

قال عبد الله بن معاوية :

ولست ببادٍ صاحبي بقطيعةٍ ولست بمفشٍ سرّه حينٍ يغضب
عليك بإخوان ثقاتٍ فإنهم قليلٌ، فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن إلا من صفا لك وده ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

شؤون العالم الإسلامي إيران تحت الشيعة الأفغان للتقارب مع نظام نجيب

أحمد زيدان

اقترح وزير الخارجية الإيراني إجراء محادثات مباشرة بين ممثلين عن حكومة باكستان وإيران ونظام كابل والمجاهدين الأفغان بهدف ما أسماه تحقيق السلام وإعادة الهدوء لأفغانستان ، وأضاف في مقابلة صحفية أجرتها معه هيئة الإذاعة البريطانية باللغة الفارسية أن هذا الاقتراح هو الأول من نوعه الذي تقدمه إيران ، وكان الغزل الإيراني مع نظام كابل قد بدأ منذ توقف الحرب العراقية - الإيرانية التي رافقها تحسن ملحوظ في علاقات روسيا - إيران ، الأمر الذي انعكس على علاقة إيران مع نجيب الله .

ومنذ انسحاب القوات الروسية من أفغانستان والعلاقات بين النظامين تتنامى ، خاصة في التبادل التجاري حيث يلعب الملياردير الأفغاني الشيعي قاري أمان نوائي الذي يسميه الأفغان بـ (نور جكامي أفغان) أي (مخزن الأفغان) لثرائه وغناه حيث إنه يرفض تشغيل أي شخص غير شيعي لديه .

كما انتعشت المؤتمرات الثنائية بين البلدين، وبدأت إيران بدعوة نظام نجيب إلى المؤتمرات التي تعدها مثل مؤتمر الصحة العالمية الذي عقد بالقرب من اجتماع للمجاهدين الأفغان مع التحالف الثماني الشيعي المستقر في طهران سابقاً ، الأمر الذي أثار الشكوك حول لقاء المجاهدين مع ممثلين عن حكومة كابل ، وكانت إيران تهدف من هذه اللقاءات والأمكنة القريبة من بعضها إلى إثارة الشكوك حول المجاهدين الأفغان، كما استقبل البرلمان الإيراني رئيس البرلمان الأفغاني التابع لنظام نجيب الله .

تجدر الإشارة إلى أن نائب رئيس نظام كابل الحالي سلطان علي كشمند من الشيعة الهزارة الذي تصفه المصادر الأفغانية بأنه مقرب من إيران ، وقد أثار تعيين شقيه أسد الله كشمند قائماً بالأعمال في إيران شكوكاً كبيرة في أعقاب انسحاب القوات الروسية ، والكثير من المراقبين يرون في تعيينه إيحاءة قوية من نظام كابل لإيران حيث أنه شيعي وشقيق لرئيس الوزراء السابق الشيعي الذي ترقى

أخيراً إلى منصب نائب الرئيس نجيب، وتقول مصادر المجاهدين بأن سلطان علي كشتمند غدا شخصية قوية في نظام كابلحتى بدأ بتجميع الشخصيات الشيعية حوله .

إيران تدعو لإشراك الشيوعيين في الانتخابات :

دعا وزير الخارجية الإيراني في مقابلة صحفية معه أيضاً إلى إشراك أعضاء من الحزب الشيوعي الأفغاني في الانتخابات القادمة ، وقد عقب (عبد العلي مزارى) الناطق الرسمي باسم حزب الوحدة الإسلامية الشيعية الجديد والذي يضم تسعة أحزاب شيعية على هذا التصريح بأن الأحزاب الشيعية لا تريد إشراك الشيوعيين في الانتخابات ، وقد وافق مزارى في مؤتمره الصحفي في بيشاور على إشراك ظاهر شاه في الانتخابات . وتتخوف إيران كثيراً من وصول شخصية مثل المهندس قلب الدين حكمتيار أمير الحزب الإسلامي إلى السلطة في كابل خاصة وهو بشتوني وهم معروفون بعدايمهم للشيعية بعدم قبول سيطرة الأجانب عليهم وقد عبر عن هذا التخوف الصحفي الباكستاني الشيعي مشاهد حسين المقرب من إيران عندما قال بعد عودته من طهران بأن المسؤولين هناك متخوفون من وصول حكمتيار إلى الحكم في كابل مما سيؤدي إلى وقوع أفغانستان بأيدي المتطرفين - على حد زعمهم - .

الشيعية يعززون مواقعهم في حكومة نجيب :

نقلت مصادر موثوقة في كابل بأن نظام نجيب الله قد حاول ملء فراغ قادة انقلاب حركة السادس من مارس بقيادة تاناي ببعض الشخصيات ، فكان معظمهم من الإسماعيلية والشيعية ، وبعد هدوء الأوضاع حاول نجيب إقالتهم إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه خاصة بعد أن دعمهم سلطان علي كشتمند وعزز مواقعهم خاصة في قيادة الجيش والاستخبارات، وبعد انقلاب تاناي التقى نجيب مع مندوبين عن التحالف التساعي الشيعي الأفغاني المستقر في طهران ومما جاء في كلمته قوله : "أود أن أقول في لقائي هذا بأن شعب الهزارة (الشيعية) شعب مظلوم وهو في نفس الوقت شعب صادق ومخلص في الدفاع عن وطنه ولا ننسى موقفه المشرف مع أمان الله عندما قام ضده المتطرفون والذين يقفون بوجهنا اليوم حيث إنه أراد إصلاح البلاد فوقفتم إلى جانبه حتى آخر لحظة من سقوطه" وكان يشير بهذا إلى وقوف جماعة الهزارة إلى جانب الملك أمان الله في تحديث البلاد بوجهة غير إسلامية فوقف في وجهه العلماء . ولم ينس نجيب أن يدغدغ عواطف الشيعية في العزف على وتر خطر الوهابية التي تعتبر بعبع الشيعية عندما قال : "إن انقلاب تاناي حكمتيار كان بأمر من المخابرات الباكستانية والوهابية السعودية" .

وتقول مصادر المجاهدين القادمة من كابل بأن الشيعية قد شكلوا عدة ألوية عسكرية شيعية تشرف على قطع طرق المجاهدين في الهجوم على كابل ومعهم سيد جكرن .

ولا تستبعد مصادر المجاهدين إذا حصلت انتخابات في هذه الفترة أن يقوم نجيب بالسماح للشيعية الأفغان الموجودين داخل المناطق التي يسيطر عليها بالذهاب لأماكن الاقتراع في المناطق المحررة خاصة وأن أغلب مناطق الشيعية ليست تحت سيطرة نجيب مما يجعل تحقيقهم لنتائج أكثر من نسبتهم أمراً أكيداً .

أمريكا دمرت أسلحتها في إسلام آباد
لمنعها عن المجاهدين

خاص بالبيان - من أفغانستان :

كشفت مصادر أفغانية عالية المستوى أثناء حديثها لـ (البيان) على أن انفجار "أوجري" الذي هز إسلام آباد أوائل إبريل ١٩٨٨ قد استهدف تدمير الأسلحة المخزونة للمجاهدين الأفغان في العاصمة الباكستانية، وربطت المصادر بين التفجير والتوقيع على اتفاقيات جنيف في ١٤ إبريل ١٩٨٨ بين الحكومة الباكستانية ونظام كابل بضمانات أمريكية روسية . حيث قامت أمريكا عن طريق عملائها في باكستان بهذا التفجير بعد أن تيقنت من مسألة الانسحاب الروسي من أفغانستان الذي كانت تعتبره السبب الرئيسي لدعمها للمجاهدين الأفغان ، وقد حرص الأمريكان أثناء الانسحاب الروسي من أفغانستان على عدم مهاجمة المجاهدين لقوافل الروس المنسحبة ، وللأسف فقد اختلفت وجهات نظر المجاهدين حيال مسألة الهجوم على القوافل المنسحبة، وتقول المصادر الأفغانية بأن المجاهدين ومعهم الرئيس الباكستاني ضياء الحق كانوا في طمأنينة من أن الأسلحة والذخائر الموجودة في معسكر أوجري تكفي المجاهدين لإسقاط نظام كابل ، وعقب التفجير فقد أظهر الأمريكان أنهم مستعدون للتعويض عن هذه الأسلحة ولكن كانوا يتذرعون مرة بالشحن الجوي وصعوباته؛ وأخرى بمشاكل الشركات العسكرية التي تقوم بتوريد الأسلحة والذخائر .

تجدر الإشارة إلى أن آلاف من الصواريخ قد دمرت وفجرت في هذا الانفجار منها ستمئة صاروخ ستينغر الذي لعب دوراً في إسقاط الطائرات العسكرية الروسية ، كما قتل الآلاف وأعيق العشرات من الآلاف من سكان مدينتي إسلام آباد وراولبندي حيث ظن أهالي المدينتين أن القيامة قد قامت من هول ما حدث ، وهذا أيضاً يضاف إلى البراهين الساطعة السابقة على أن القوى الكبرى التي تتشدد بمسألة حقوق الإنسان والهجوم على الإرهاب لا تتورع عن ارتكاب أخس وأذل الوسائل في حماية نزواتها ومصالحها الشخصية .

وكان المجاهدون الأفغان قد أشاروا إلى النقص في الأسلحة بعد هجومهم على جلال آباد في مارس ١٩٨٩ ولكن دون جدوى .

وخلال أيام الانفجار هاجمت المعارضة الباكستانية لحكم ضياء الحق مسألة وضع مثل هذا العدد الهائل من الأسلحة في وسط مدن مزدحمة بالسكان، ولكن يبدو أن الرئيس الباكستاني كان يريد أن يحمي الأسلحة بالمدينين ظناً منه أن الأمريكان لن يقوموا بتفجيرها وقتل مثل هذا العدد الهائل من السكان ، ولكن ظنه لم يكن واقعياً ، فقد ضحى الأمريكان بسفيرهم في إسلام آباد مقابل تصفية القادة العسكريين في إسلام آباد أثناء حادث الطائرة في ١٧ أغسطس ١٩٨٨ .

تاتشر ترغب بتوجيه أسلحة حلف الأطلسي إلى الشرق الأوسط

أعلنت مارغريت تاتشر أن الحدود بين الشرق والغرب قد زالت . وأضافت أن الغرب لم يكن في أي فترة أكثر أمناً منه الآن . وبعد ٤٥ سنة يجب أن يتجه من منع قيام الحرب إلى العمل على بناء السلام.

وحذرت في الوقت نفسه- من أن حلف الأطلسي ربما يضطر لتحويل دفاعاته ضد تهديدات جديدة ؛ وبخاصة من الشرق الأوسط .

وهذا يعني تخفيضاً كبيراً في القوات البريطانية المرابطة في ألمانيا الغربية ، وكذلك في عدد الصواريخ النووية . وبدلاً من ذلك الاهتمام الكبير في الجانب العسكري يجب التركيز على الجانب السياسي من عمل الحلف . ولكنها اقترحت أن يرتبط ذلك بقوات تدخل سريع مسلحة بأسلحة متطورة جاهزة للرد على أي تهديد يصدر من أي جهة من العالم .

كما قالت: إن العالم يتغير بسرعة تقصر عنها طرق تكفيرنا؛ لذلك فإننا بحاجة إلى أن نكون أكثر براعة، وأن نعمل على إقامة مجال أكبر للتعاون .

وحديث تاتشر هذا جاء قبيل سفرها لمقابلة غورباتشوف حيث من المتوقع أن تجتمع مع القيادة العليا للقوات المسلحة السوفييتية . وأكدت على الحاجة لأن يظل الـ (ناتو) قوياً - كما كان دائماً - وأن في تجربته عناصر سياسية مهمة .

هذه العناصر تتضمن الحفاظ على مبادئ الأمن الجماعي ، واستمرار الحضور الأميركي في أوروبا ، والإبقاء على قواعد صاروخية نووية كافية في أوروبا للاحتفاظ بقوة ردع مطمئنة .

وأضافت - تعليقاً على التغييرات الديمقراطية في أوروبا الشرقية - : إن البنية السياسية التي عهدناها تتغير بسرعة ، فالشيوعية تداعت ، ولم يعد أمام حلف الأطلسي حدود سياسية واضحة ، وهذا يثير أسئلة كثيرة لا بد لها من أجوبة :

هل مازال هناك دور للخطط الدفاعية التقليدية؛ أم لا بد لنا من إعادة النظر فيها، والاعتماد الأكبر على فعالية الحركة والمرونة وقوات الاحتياط ؟ وهناك سؤال آخر ، وهو ما إذا كان على حلف الأطلسي "أن يفكر ملياً بإمكانية تهديدات لأمننا من جهات أخرى".

وأردفت تقول :

".. لم تمض مدة طويلة على الظروف التي اضطرت الغرب على الذهاب إلى الخليج العربي ليضمن استمرار تدفق النفط الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، بالإضافة إلى ذلك ؛ ومع انتشار الأسلحة المتطورة والتقنية العسكرية وامتدادها إلى مناطق كالشرق الأوسط فإن ذلك يجعل إمكانية تهديد قادم من خارج أوروبا لأقاليم حلف الأطلسي أمراً لا يستهان به .

وأمام هذا الوضع فإن من الحكمة الاحتفاظ بالقدرة على القيام بأدوار متعددة ، وبقوات قادرة على القيام بمهام مختلفة وبمرونة أكبر . كما يجب على الحلفاء أن يختبروا إمكانية زيادة الدول المشاركة في حلف الأطلسي . أما على المستوى السياسي فقد قالت :

يجب على حلف الأطلسي أن يعمل على تقوية العلاقة مع الولايات المتحدة ، وينتقل إلى نشاطات أخرى مثل نزع السلاح .

عن : ايفنغ ستاندرد ١٩٩٠/٦/٧

تحريض وإثارة ضد الإسلام

مقتطفات من مقال افتتاحي في جريدة الصندي تايمز

في ١٠ / ٦ / ١٩٩٠

... إن ٦٠ مليون مسلم في الاتحاد السوفييتي ينزعون من أعناقهم نير العبودية المفروض عليهم من قبل روسيا ، وينعطفون نحو الإسلام ، الأمر الذي سيمزق الاتحاد السوفييتي، ويشكل أكبر تهديد لمصالح الغرب قبل نهاية هذا القرن .

وفي الوقت الذي يتناقض فيه التهديد الصادر من حلف وارسو شهراً بعد شهر ؛ إلا أن التهديد الإسلامي سيتنامى سنة بعد سنة ، وهذا التهديد مختلف في النوعية والدرجة عن التهديد الذي كان للحرب الباردة ، وعلى الغرب أن يتعلم كيف يحتوي ذلك التهديد، كما تعلم كيف يحتوي الشيوعية . إن جميع الجمهوريات الإسلامية السوفييتية الجنوبية تتطلع بإلحاح إلى الاستقلال ، وسكانها يمثلون ٢٠% من سكان الاتحاد السوفييتي ، ومجنودوها يمثلون ٣٣% من الجيش السوفييتي . إن الحوادث العرقية التي حدثت في بعض الجمهوريات المسلمة هذه تشير إلى أن موسكو لن تستطيع الاحتفاظ بالوضع كما كان عليه سابقاً ، وإذا ما حاولت فسينجم عن ذلك فوضى عارمة تؤدي إلى حوادث عنف بشكل لم يعهده الاتحاد السوفييتي، وإن الشيوعيين الروس (الذين ينظرون إلى رفاقهم المسلمين بازدراء) سوف يطلبون من قادتهم ترك هذه الجمهوريات وشأنها . إن موجة كاسحة من الشعور القومي والديني تجرف المسلمين نحو الاستقلال لينضموا إلى باقي العالم الإسلامي في وقت يرتفع فيه إيقاع التطرف الإسلامي .

إن احتمالات السلام بين العرب وإسرائيل تبدو الآن بعيدة أكثر من أي وقت مضى ، بسبب إصرار الحكومة الإسرائيلية على الاحتفاظ بقطاع غزة والضفة الغربية ، وبسبب تدفق المهاجرين اليهود السوفييت من جديد، وهكذا فإن إسرائيل لن تخشى بعد الآن النمو السكاني العربي داخلها . وعلى الرغم من أن هذا كله لا يعني نشوب الحرب - بسبب فرقة العرب وتشتتهم - فإن اللجوء إلى العنف أمر لا مفر منه في ظل تصلب إسرائيل . والأجنحة المتصلبة من الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية ولبنان يعودون للتمسك وبشكل متزايد بالقرآن (!!).

إن الأصوليين اليوم يمثلون أكبر خطر لقيادة ياسر عرفات لمنظمة التحرير، وحتى الكويت المعتدلة رأت من الحكمة إعطاء اغلب معونتها التي وعدت بها الفلسطينيين السنة الماضية والمقدرة بـ ٥٠ مليون جنيه استرليني "حماس" بدلاً من منظمة التحرير ... إن على الغرب والاتحاد السوفييتي الإعداد لمواجهة هذا الإسفين الإسلامي الهائل الممتد من شواطئ البحر المتوسط وشمال أفريقيا عبر أواسط آسيا إلى حدود الصين مشتملاً على الجمهوريات الإسلامية السوفييتية التي في طريقها إلى التحرر . نعم ، إن هذا العالم الإسلامي لن يمثل وحدة سياسية أو عسكرية كما كان حلف وارسو مثلاً ؛ ولكنه لن يكون أقل تهديداً وخطراً على مصالح الغرب (...).

إن مهمة الغرب الأولى في أن يدرك مدى وطبيعة التهديد الجديد، ثم البدء بالتخطيط للخطوات الضرورية لحماية المصالح الغربية ، كتطوير إمكانية حلف الأطلسي للقيام بعمليات عسكرية خارج الساحة الأوروبية - كما اقترحت تاتشر أمام وزراء حلف الأطلسي في لقائهم في اسكوتلندة - سيكون ضرورياً ، ومع الوضع في الاعتبار أن بعضاً من أخطر الدول الإسلامية ستمتلك قريباً الأسلحة النووية والوسائل لإنتاجها ؛ فإن نوعاً ولو محدوداً من مبادرة ريغان الدفاعية - والتي تتضمن القدرة على تدمير صواريخ العدو أثناء انطلاقها - لا تبدو الآن سخيفة كما بدت لمننديها في وقتها .

وعلى الغرب أيضاً تنمية علاقاته مع أصدقائه في العالم الإسلامي الذين يفضل الكثير منهم التعايش السلمي مع الغرب ، وأن يفهم أعداءه بما لا يقبل الشك ، أن أي تهديد لمصالح الغرب سيواجه بكل تصميم وإن اضطره إلى استخدام القوة (...).

تعليق المجلة:

إن الموضوعين السابقين يمثلان وجهة نظر الغرب تجاه الإسلام والمسلمين ، والموضوع الأول هو رأي رسمي صادر عن أعلى مؤسسة استراتيجية للحضارة الغربية وهي حلف الأطلسي ، الذي تقترح تاتشر - وهي من مهندسي خطته - أن يظل حذراً من التحركات الإسلامية ، التي لا تذكرها بالاسم ، بل بالإشارة إلى المنطقة - على عادة الانكليز بتسمية الأسماء بغير أسمائها الحقيقية - وأن لا يتردد في التدخل العسكري في أي مكان من العالم ، للقضاء على أي تهديد متوقع . وأبسط ما يقال في هذه النظرة أنها تعتبر العالم كله مجالاً حيوياً خلق لخدمة الحضارة الأوربية ، فأى عنصرية أكبر من هذه العنصرية ، وأي استهانة بالشعوب الأخرى أشد من هذه الاستهانة؟! أما الموضوع الثاني فيعتبر كشرح وكحاشية لإشارة تاتشر ، ويبين مبررات الطبيعة العدائية الكامنة في الفكر الغربي ، والتعصب والشوفينية والاستعلاء ضد جميع المسلمين في شتى بقاع العالم. وهذا واضح من الضيق والضجر الذي يشعر به هؤلاء الغربيون عندما يفكر المسلمون ولو مجرد تفكير في نزع الظلم المفروض عليهم ، وحتى لو أن مناخاً عاماً واعدأ بإزالة ظلم مخيم يعم الناس : مسلمهم ومسيحيهم وبوذهم وملحدهم فإن هذا المناخ ينبغي أن يقتصر على غير المسلمين ، ويستثنى المسلمون من نعمة تأثيره ، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون لا يستحقون جدارة العيش أحراراً . إن كاتب المقال الثاني الذي لم تذكر الصحيفة اسمه (وقد يكون يهودياً أو مؤيداً للصهيونية بشدة) تغيظه المساعدات التي تقدم من بعض العرب إلى إخوانهم في فلسطين ويضيق ذرعاً بذلك ، ويتناسى ويتجاهل المبالغ التي لا حصر لها التي قدمت ولا تزال تقدم إلى المنظمات الصهيونية، وكذلك المساعدات الهائلة التي تقدمها الولايات المتحدة ودول أوربا للدولة اليهودية والتي لولاها لما كتب لها الحياة .

إن الفقرتين المقتبستين نموذج لهذه الحملة المسعورة على المسلمين كلما بدت في الأفق بوادر يشم منها عودة المسلمين إلى دينهم .

المسلمون والمتغيرات الدولية

لا زالت أحداث أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي والحديث عن الوحدة الأوربية وما رافق ذلك من متغيرات ومفاجآت، لا زالت تتوالى ولم تتوقف بعد ، وآخر أنبائها دعوة الرئيس الأمريكي لغورباتشوف أن يحضر اجتماعات حلف الأطلسي بصفة (مراقب)، واقترح (بوش) أن لا يكون حلف الأطلسي حلفاً عدوانياً، بل إن بعض دول حلف وارسو تقدمت بطلب للانضمام إلى حلف الأطلسي، واليونان تتحدث عن الجيش الأوربي الموحد (الشرق الأوسط ١٨ / ٧ / ١٩٩٠) وألمانيا الشرقية تطالب بانسحاب القوات السوفييتية، أما عن أوربا الغربية فخطوات توحيد النقد والانفتاح الاقتصادي سائرة كما يخطط لها .

هذه التطورات وإن فاجأت بتسارعها مثل هنري كيسنجر (الشرق الأوسط ١٥ / ٧ / ١٩٩٠) فإن الغرب لم يكن بعيداً عنها، أعني في تصعيده للأحداث، والنية المبيتة في تفكيك الامبراطورية الروسية.

إن ألمانيا الغربية تدفع آلاف الملايين إلى مواطني الشرقية حتى ترفع مستواهم الاقتصادي تمهيداً للوحدة الكاملة، وسواء توحدت أوربا في القريب العاجل أم أن ذلك سيتم بخطوات وئيدة وليس من

الضروري أن تكون وحدة كاملة . فمما لاشك فيه أن أوروبا استراحت من هاجس الخوف الذي كان يمثل الاتحاد السوفييتي والدول التابعة له ومعنى هذا أنها ستتفرغ لأمر أخرى ، ومن أهمها موقفها من العالم الإسلامي والهيمنة الاقتصادية ، فإن اليابان رغم أنه يشكل كتلة اقتصادية ولكنه لا يشكل تحدياً حضارياً فلم يبق إلا العالم الإسلامي وبعض دول آسيا وأفريقيا لإثبات الهيمنة الاقتصادية ، وهذه لابد لها من هيمنة فكرية ، تتمثل بإبعاد الإسلام عن أن يكون هو المؤثر والفعال في حياة الناس ، وهذه النوايا لا يكتفها الغرب ، بل يصرح بها علناً ويقول : إن الخطر القادم هو الإسلام ، كما صرح بذلك وزير فرنسي سابق . هذه الحقيقة جعلت بعض السياسيين العرب يعترف بها كما جاء في مقابلة أجرتها (الوطن العربي) بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٢ مع الأستاذ طاهر المصري وزير الخارجية الأردنية السابق ، قال :

"... وهذا التفكير الإسرائيلي سوف يتزامن مع بحث الدول الغربية عن عدو جديد لهم بعد انهيار العدو الشيوعي ، هذا العدو هو العالم الإسلامي" .

وأقرب جزء من العالم الإسلامي لأوروبا هو العالم العربي الذي تبدي الصحف الغربية اهتماماً زائداً به وهذا الاهتمام راجع للأسباب التالية :

١- هذه المنطقة تمثل قلب العالم الإسلامي فإذا نهضت شعوبها وتوحدت فسيكون لها أكبر الأثر على الشعوب الإسلامية المجاورة .

٢- يخشى الغرب من الإسلام السني والذي تعتنقه أكثرية الشعوب العربية. والغرب يعلم الفرق بين السني وغيره ، ويعلم بالتفصيل تاريخ أهل السنة مع أعداء الإسلام ، وأن الذي دافع عن الإسلام قديماً (في الحروب الصليبية) وفي العصر الحديث هم أهل السنة .

٣ - قرب العالم العربي وخاصة الشمال الأفريقي من أوروبا (١)، وإن النمو السكاني المتزايد في هذه البلدان يقلق أوروبا جداً وهنا قد يقول قائل : كيف يخشى الغربيون من شعوب هذه المنطقة وهي على ما نعرف الآن من الضعف الاقتصادي والحضاري بشكل عام، والجواب أن الغرب لا يفكر في الحاضر بل هو دائماً التخطيط للمستقبل وحكام الغرب يعلمون أن شعوبهم في انحدار أخلاقي وما يتبع ذلك من أمراض جسدية ونفسية، وإذا كان الغرب يتطلع إلى وحدة ١٩٩٢ فإن الوضع في المنطقة العربية كأنه لا يريد التحرك لمواجهة هذه التحديات ، فكما يقول أحد الكتاب : الغني يرسف في غناه ، والفقير يرسف في فقره ، وأصحاب كثرة السكان يعانون من الكثرة ، وأصحاب قلة السكان يعانون من القلة . ونحن نقول : وقبل هذا وذاك لا يزال العلمانيون أصحاب المناهج المختلفة ماضين في عنادهم ويحاولون بثتى الوسائل منع الإسلام من العودة، الإسلام الذي من خلاله تتأكد شخصية الأمة ، ويتم بناء الحضارة المتميزة ، ومن خلاله تتوحد الشعوب الإسلامية في وجه الهيمنة الفكرية والاقتصادية .

الهوامش:

١- انظر ما كتبه جميل مطر حول أوروبا والتحديات الستة في جريدة الحياة ١٩٩٠/٧/١٣ وما كتبه د. عصام نعمان في الشرق الأوسط ١٩٩٠/٤/٢٥ .

- نشرت صحيفة (القدس العربي) بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦ مقابلة مع المحجوبي أحرضان وهو سياسي مغربي وعضو في المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي شكلته الحكومة وعندما سأله مندوب الصحيفة عن (اتحاد المغرب العربي) أجاب على الفور : اتحاد المغرب الكبير ، وعندما أعاد عليه أن الاتحاد اسمه اتحاد المغرب العربي قال : "مازلنا لم نقبل بأن يكون عربياً ..، ثم أردف هناك اتصالات مع القبائل في الجزائر ، ولكن من أجل الخير .
- قال مندوب الصحيفة : ولكن هذا يمزق المغرب العربي .
- أجاب أحرضان : بلا شك سنفعلها .. لأننا نريد المحافظة على لغتنا (البربرية) وعاداتنا .. لماذا تريدون ترك (الأمازيغية) .
- لم تصدروا أي صحيفة بالأمازيغية .
- أصدرنا مجلة ومنعوها .
- لماذا ؟
- قالت في إحدى أعدادها : الاستعمار العربي في المغرب فمنعوها ..
- استعمار عربي ياسي أحرضان !!"

تعليق :

ليس هناك مسلم يعقل الإسلام يثيرها نعمة عنصرية ، وإنما يضع نصب عينيه : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)) فهناك شعوب وأجناس كلها ترجع في النهاية إلى أب وأحد ، وعندما ينعم الله على شعب بأن يهديه إلى الإسلام تصبح اللغة العربية إن لم نقل هي الوحيدة فهي الأولى لأنها لغة دينه ، قرآنه وسنته ، ويعتز بها ويعلمها أولاده ، بل هي واجبة عليه ، ونحن نعيذ أي مسلم بربري أو كردي أو هندي أن يأنف من الانتساب لهذه اللغة لأنها بنظره ذوبان في (العرب) فهذه شعوبية لاشك في ذلك ، وإذا كانت النعمة القومية التي أفسدت الحياة العربية وجدت لها صدى عند بعض العرب وخاصة عرب المشرق ، فقد كان هذا خطأ عولج به خطأ قبله وهو سياسة التتريك التي اتبعتها العثمانيون في آخر أيامهم فأثاروا عليهم أصحاب القوميات الأخرى مما استغله أعداؤهم الغربيون وكان سبباً في هزيمة الدولة العثمانية ثم انهيارها أخيراً.

ونحن - المسلمون اليوم - يجب أن نقرأ التاريخ ونستفيد من عبره ودروسه ونقلع عن سياسة التشنج وعلاج الداء بالداء، ونرجع إلى الدين الذي يجمعنا كلنا، أجناساً مختلفة، واللغة العربية لها المحل الأول، وتراجع الشعوب التي أسلمت عن اللغة العربية وعودها إلى لغاتها المحلية خطأ يجب أن يصحح بالعودة شيئاً فشيئاً إلى اللغة التي اختارها الله لكتابه ، وإنا نعيذ القبائل في الجزائر ، والمغرب أن تستجيب لمثل هذه النعرات ، ولمثل هذه الأحقاد، وليعتقدوا بالشيخ ابن باديس -رحمه الله- الذي يرجع نسبه إلى عائلة من كبرى العائلات القبائلية الأمازيغية ولكنه كان من أشد الناس تحمساً لنشر اللغة العربية، لأنها لغة ديننا وقد شرق شعره وغرب وهو الذي يقول فيه :

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

وما يقال عن الإخوة في المغرب والجزائر يقال للأخوة الأكراد وغيرهم ، إن الحل هو الإسلام واللغة العربية وليس إحياء اللغات المحلية ، والعادات القديمة و (لنحافظ على شخصيتنا) كما يقال لهم : نعم الإسلام لا يغير من طبيعة الإنسان وخصائصه ، التي لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ، فلكل شعب خصائص وعادات ، ولكن الذين يرفعون هذه الشعارات إما قوميون يكرهون العرب

(جنس العرب) وإما مخدوعون بهذه الشعارات أو رداً على ما يرفعه العرب من شعارات قومية . من المؤسف أن دول أوروبا وشعوبها تتجه نحو الوحدة، بينما نحن نعيدها قبلية جاهلية منتنة .

- ٢ -

في معرض متابعة الأحداث العالمية وما جرى ويجري فيها من تغيير أذهل الجميع وكيف تغيرت خارطة العالم السياسية من صراع بين الشرق والغرب وبينهما (العالم الثالث) إلى انقسام العالم إلى شمال وجنوب ، فالدول الصناعية والدول الأوروبية بما فيها روسيا تحاول التقارب والاتحاد ، ويبقى العالم الآخر هو عالم الجنوب بما فيه (العالم الإسلامي).

كيف ينظر بعض كتاب العرب المشهورين إلى هذه المتغيرات، يبدو أنهم لا يريدون الاعتراف بالهزيمة، وأن اليسار كله قد انهزم ، فالحنين إلى العلاقات (العربية - السوفيتية) لا يزال يراود أحلامهم ، مع أن روسيا تقول بواقع الحال : لا تخرجوني أمام الغرب . فأنا في شغل عنكم الآن. كتب الدكتور محمد عابد الجابري في الصفحة الأخيرة من (اليوم السابع) ٢٥/٦/٩٠ : " هل نحكم على العلاقات العربية السوفيتية بالذوبان في بحر علاقات (الشمال) بـ (الجنوب)، إن هذا المشهد البسيط والمخيف يقوم على اختزال أشياء كثيرة ، وإغفال معطيات هامة إن نحن أخذناها بعين الاعتبار وجدنا أنفسنا أمام مجال لتطوير العلاقات العربية - السوفياتية . أما قسطنطين زريق فيدعو في مقال له في (الحياة) ٦/٧/٩٠ إلى الاستفادة من النواحي الإيجابية للعقيدة الشيوعية ، وأن الرؤية الشيوعية فيها من الشمولية ، ومبدأ المساواة ضمن المجتمع الواحد ، وأن ما وقع في الاتحاد السوفيتي ما هو إلا قصور في التطبيق والأخذ بجانب وإهمال الجوانب الأخرى .

ويدعو في نهاية المقال إلى "الاستفادة من خبرة الاتحاد السوفيتي وخاصة في مجال التاريخ الإنساني الشامل" .

لاشك أنها حشرة الموت عند هؤلاء الذين يدعوننا للاستفادة من خبرة روسيا ، وهي التي تريد إزاحة كل هذه التركة الثقيلة عن كاهلها ، ولا نقول هذا الكلام لحساب الرأسمالية الغربية فهي أيضاً الوجه الآخر للمادية الأوروبية الاستعمارية ، ولكنها تحمل بعض عناصر البقاء والمقاومة أكثر من الشيوعية .

مساكين هؤلاء الكتاب (وأمثالهم كثير) إنهم لا يملكون الشجاعة للاعتراف بالحق ، إنهم يراوغون ويدورون حول مفاهيمهم السابقة ، ونحن نقول لهم ليس هناك حق إلا الإسلام .

ركن الأسرة كلمة الصفحة

هدى محمد سميح

أختي المسلمة :

لاشك أنك تحبين الاجتماع بإخوانك المسلمات والتحدث إليهن ومؤانستهن ، وخاصة إذا كنتن في ديار الغربية، ولا بد أنك تلتقين بكثير منهن من أجناس وخلفيات متعددة في المساجد والمراكز

الإسلامية، فعليك أن تعطي انطباعاً حسناً للأخريات عن شخصيتك وأن يكون أثر التربية الإسلامية والخلق الإسلامي ظاهراً في هذه الشخصية .
 إن أول مدخل إلى قلوب الناس هو لسانك ، أي طريقة حديثك إلى الأخريات ، فكوني شديدة الحذر في استعمال هذه القطعة من الجسم ، فربما تلقين بكلمة - لا تلقين لها بالاً ولا تقصدين بها سوءاً - ويكون لها أثر سيئ ومنفر ، ويتحاشى الناس بعدها مجالستك و محادثتك .
 إن اللياقة في الحديث وحسن العشرة مع الأخريات من أخلاق المسلم التي يجب أن تصرفي إليها كثيراً من الاهتمام .

همسة للأمهات

إذا أخطأ طفلك وعندك بعض الضيوف أو الحضور فلا تحاولي نهره وتوبيخه - فضلاً عن ضربه - أمام ضيوفك . إن هذا السلوك غير حكيم من ناحيتين :
 ١- فهو قد يوحى للضيوف أو الحضور أنك ضائقة بهم وبزيارتهم ، وتحاولين التعبير عن ذلك بعقوبة الطفل .
 ٢ - ومن جهة أخرى فهو ضار بسلوك الطفل، وله مردود عكسي لا يحقق الغرض من العقوبة وهو التأديب .
 والتصرف الأمثل في مثل هذه الحالة إما تأجيل العقاب إلى وقت آخر، أو الانفراد بالطفل وإفهامه خطأه وتأنيبه بعيداً عن ملاحظة الآخرين.

اعتقادات خاطئة حول التغذية

١- أكل السمك وشرب الحليب أو اللبن مضر بالصحة وقد يسبب الوفاة !
 هذا اعتقاد خاطئ ، وسبب شيوعه أن الحليب والسمك من الأطعمة الحساسة السريعة الفساد ويكثر التسمم عن طريقها ، أما مجرد الربط بين هذين النوعين من الطعام وأنه مضر فلا دليل علمي صحيح عليه .
 ٢- عصير الطماطم (البندورة) والعنب الأحمر يزيد في الدم !
 غير صحيح وليس مجرد تشابه لونهما مع لون الدم يعطيها هذه الخاصية ، حيث إن من مكونات الدم البروتين والحديد .

تمثل العقائد في الطفولة

خولة درويش

لاشك أن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية ، وأمر بالغ السهولة كذلك (١).
 ولذلك اهتم الإسلام بتربية الأطفال على عقيدة التوحيد منذ نعومة أظفارهم ، ومن هنا جاء استحباب التأذين في أذن المولود ، وسر التأذين -والله أعلم- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند مجيئه إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها (٢).

ومن ثم يتولى المربي رعاية هذه النبتة الغضة ، لئلا يفسد فطرتها خبيث المؤثرات ، ولا يهمل تعليمه العقيدة الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن العقيدة غذاء ضروري للروح كضرورة الطعام للأجسام ، والقلب وعاء تنساب إليه العقائد من غير شعور صاحبه، فإذا ترك الطفل وشأنه كان عرضة لاعتناق العقائد الباطلة والأوهام الضارة ، وهذا يقتضينا أن نختار له من العقائد الصحيحة ما يلائم عقله ويسهل عليه إدراكه وتقبله ، وكلما نما عقله وقوي إدراكه غذيناه بما يلائمه بالأدلة السهلة المناسبة وبذلك يشب على العقائد الصحيحة، ويكون له منها عند بلوغه ذخّر يحول بينه وبين جموح الفكر والتردي في مهاوي الضلال (٣).

أما إن أخطأ المربون في تعرف اهتمامات الطفل الدينية فقدموا له تفسيرات دينية غير ملائمة ، فحينئذ "إما أن ينبذها كما ينبذ أية فكرة لا تتسق مع تكوينه النفسي المتكامل وإما أن يتقبلها على مضض مجاملة للأهل ، وضماناً لاستمرار عطفهم ، ولكنه تقبل مؤقت يخفي معارضة مكبوتة (٤). فالإجابة السليمة الواعية على تساؤلات الأطفال الدينية، بما يتناسب مع سنهم ومستوى إدراكهم وفهمهم أمر ضروري ، مع الاعتدال في التربية الدينية لهم ، وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به... وكذا عدم اهمالهم بحجة أنهم صغار لا يفهمون ، كما يظن البعض ، فهذا رسولنا الكريم قد تعهد أصحابه ، حتى الأطفال منهم فغرس في نفوسهم أسس العقيدة ، قال معلماً لابن عباس -رضي الله عنه- : «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله» (٥) .

بمثل هذه التوجيهات الحكيمة نستطيع أن نحسن عقائد أبنائنا ، وفي كل تصرف من تصرفات المربي وكل كلمة من كلماته يراقب ربه ، ويحاسب نفسه لئلا تفوته الحكمة والموعظة الحسنة، وحتى لا توقع أخطاء التربية أبناءنا في متاهات المبادئ ، يتخبطون بين اللهو والتفاهة، إلى الشطط والغلو ، كل ذلك عند البعد عند التربية الحكيمة المتوازنة التي تسير على هدي تعاليم الإسلام الحنيف .

جوانب البناء العقدي عند الطفل المسلم :

أ- الإيمان بالله -جل وعلا- :

إن أهم واجبات المربي ، حماية الفطرة من الانحراف ، وصيانة العقيدة من الشرك ، لذا نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تعليق التمايم تعويداً للصغير الاعتماد على الله وحده : "من علق تميمه فلا أتم الله له" (٦).

وإذا عرفنا أن وضع التميمية والاعتقاد فيها شرك ، جنبنا أطفالنا هذا الشرك ، وبعد ذلك يوجه المربي جهده نحو غرس عقيدة الإيمان بالله في نفس الصغير فهذه أم سليم الرميمصاء أم أنس بن مالك خادم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهم أجمعين أسلمت وكان أنس صغيراً ، لم يقطع بعد ، فجعلت تلقن أنساً قل : لا إله إلا الله ، قل أشهد أن لا إله إلا الله ، ففعل ، فيقول لها أبوه : لا تفسيدي على ابني فتقول : إني لا أفسده (٧).

كان أبوه ما يزال مشركاً ، يعتبر أن التلفظ بعقيدة التوحيد، والنطق بالشهادتين إفساداً لطفله ، تماماً كما يرى كثير من الملاحدة ، أصحاب المذاهب الهدامة ، والطواغيت في الأرض ، في هذا العصر يرون أن غرس الإيمان وعقيدة التوحيد ، إفساد للناشئة ، وإبعاد لهم عن التقدمية كما يزعمون .

يتعرف الطفل أنه مسلم ، وأن دينه الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله له ولا يقبل من عباده سواه ، والتركيز في التربية على ما وصفها ابن تيمية -رحمه الله- (محبة العامة وهي محبة الله تعالى لأجل إحسانه لعباده ، وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها" (٨).

فالله تعالى أعطانا العينين والطعام اللذيذ ، وكل ما يحبه هذا الصغير فلا يملك صغيرنا إلا أن ينشأ على محبة خالقه -جل وعلا- .

ويبتعد المربي عن تلقين الأطفال اسم الله من خلال الأحداث الأليمة ، لأن للخبرات الأليمة أثرها في تشكيك المؤمن في عقائده وانحيازه إلى النزعة اللادينية" (٩).

ومن الأحداث الأليمة عند الطفل مثلاً أن نقرن له ولادة الطفل بشق بطن أمه مثلاً.. "فيتصور أن فعل الميلاد أمر بشع ، وحيث أن مولد طفل جديد يثير قلقه.. فمن المحتمل أن تكون أولى خبرات الطفل بالله خبرات أليمة" (٩).

لذا ، ينبغي أن نذكر اسم الله أمام الطفل من خلال مواقف محببة سارة ، فالطفل مثلاً قد يستوعب حركة السبابة عند ذكر كلمة الشهادتين ، يتلفظ بها الكبير أمامه ، الأم أم الأب أو أحد الاخوة الكبار ، وذلك منذ الشهر الرابع من عمره ، فإذا به يرفع اصبعه مقلداً الكبار. كم هي حركة لطيفة ومحبية عند الأهل الذين لا يملكون إزاءها إلا ضم صغيرهم وتشجيعه وهو يشير بأصبعه عند ذكر اسم الله... فيرسخ اسم الله في نفسه بمحبة عارمة من والديه ويغرس حب الله في قلبه..

وإذا نما صغيرنا وترعرع نلقت نظره إلى مظاهر قدرة الله ونعمه التي لا تحصى : إذا نظر في المرأة نقول له معلمين قل : "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي" (١٠).

وإن لبس الجديد حمد الله على نعمه وكذا إن أكل أو شرب قال : "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين" (١١).

وهكذا ، فيعرف نعمة الله ويعتاد شكره ، مع لفت النظر إلى مظاهر قدرة الله ونعمه التي لا تحصى.. كل ذلك بأسلوب رقيق ولهجة رقيقة من غير إسراف في عرض الفكرة ولا غلو فيها، وإنما بطريقة محببة تناسب الطفولة فتتمشى معها .

"ولا يجوز للمربي أن يتكئ على خط الخوف حتى يرعب الطفل بغير موجب بكثرة الحديث عن غضب الله وعذابه . والنار وبشاعتها .. إنما ينبغي أن نبدأ بالترغيب لا بالترهيب حتى يتعلق قلب الطفل بالله من خيط الرجاء أولاً فهو أحوج في صغره إلى الحب" (١٢).

علينا أن نذكر اسم الله -تبارك وتعالى- ونحن نستشعر عناية الله بالإنسان وتكريمه له "حيث سخر له ما في سماواته وأرضه ، وما بينهما حتى ملائكته.. جعلهم حفظة له في منامه ويقظته وأنزل إليه وعليه كتبه.. فلإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات" (١٣).

هذا فضلاً عن فائدة أخرى :

"إن الاعتقاد بكرامة الإنسان على الله ، يرفع من اعتباره في نظر نفسه ، ويثير في ضميره الحياء من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها.. ونظافة المشاعر تجيء نتيجة مباشرة للشعور بكرامة الإنسان على الله ثم برقابة الله على الضمائر واطلاعه على السرائر" (١٤).

وهكذا ننمي عند الأطفال الشعور الديني القائم على حب الله حيث نركز على معاني الحب والرجاء ومظاهر رحمة الله تعالى الواسعة بالناس . كما نروض الطفل على محبة الله واحترام أمر الله ، وارتباطه بأحكام دين الله ، فإذا به شاب نشأ في رضوان الله لا يعرف غير الإسلام شرعة ومنهاجاً.

نشعره أن الله يحبنا فلا يكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا أمرنا بشيء فالواجب أن نأتي منه ما نستطيع أما الحرام فلا نقر به مطلقاً.. فإن الله تعالى يحب المطيعين له ولا يحب الكافرين : ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) [آل عمران: ٣٢] . ويردد المبدأ على مسمع الأطفال .. ويغرس في قلوبهم فتنمو في نفوسهم مشاعر الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية، والمفاصلة مع أعداء دين الله الكافرين به وهذا مطلب تربوي هام وديني قبل كل شيء.

((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ)) [الممتحنة: ٦٠] . ولن تخيب نفس ألهمت رشدها ، فسارت على هدي رسولنا الكريم ، في تربية النشء، ليعينها رصيد الفطرة المركوز بها ، تستشفه من خلال إشارات طفلها إلى علو الله ، ومن كلماته في الرضى والغضب والتي يبين فيها أن الله تعالى منصف للمظلومين ، وليس أفضل من كتاب الله يذكرنا بوصية لقمان لابنه : " وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً" ((يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [لقمان: ١٣-١٩] .

الهوامش :

- ١- منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ١٦٤/٢ .
- ٢- تحفة المودود : ابن القيم / ٢٢ .
- ٣- لمحات في وسائل التربية الإسلامية : د. محمد أمين المصري / ١٤٠ .
- ٤- تطور الشعور الديني عند الطفل : المليجي / ١٧٥ .
- ٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٣/١ .
- ٦- رواه أحمد ١٥٤/٤ .
- ٧- سير أعلام النبلاء ٣٠٥/٢ .
- ٨- الفتاوى ٨٤/١٠ .
- ٩- تطور الشعور الديني ص ١٧٥ ، ص ٦١ .
- ١٠- حديث صحيح رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود ، صحيح الجامع الصغير ٢٨٠/١ .
- ١١- رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وقال عنه الحافظ ابن حجر بعد أن أخرجه من طريق الإمام أحمد : هذا حديث حسن (شرح السنة ٢٧٩/١)
- ١٢- منهج التربية الإسلامية ١٦٤/٢ .
- ١٣- مدارج السالكين ٢٣٤/١ .
- ١٤- في ظلال القرآن ٣٩٦٥/٦ .

باقلام القراء شبهة

نوال - من المدينة النبوية

ذَرَّ قرْنُ شبه كثيرة ملأت على المسلمين سمعهم وأبصارهم، وحرّجت على الكثير سعة الملة، وعمّت وضوح المحجة ، ومن هذه الشبه ، مقولة : إن تبيان المنهج السليم من وجوب اتباع الكتاب والسنة، وطلب للدليل، وتنقية للعقيدة من الزغل والزيغ، والشريعة من البدع والشين، مما يغرق الأمة، ويضلل العامة، ويلبس عليهم دينهم فيعمهون، وهذا شغل للمسلمين عن كبير الأمور بصغيرها ، وعن لب الدين بفقره ، وعن عظيم الأمور بسخيفها فالعدو قد استباح بيضة المسلمين ، وتداعى عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتهم ، فلنجانب هذه الأمور حتى يتم لنا الظفر على العدو !!

ولهؤلاء نقول: لقد جعل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين ، وجعل رسالته الناسخة لما قبلها، ودعوته هي المهيمنة على ما قبلها من الدعوات النبوية، وهذه الدعوة لا بد أن تبقى في الأرض لتكون حجة الله على خلقه ، وهذه الحجة لا بد أن تكون برهاناً فاصلاً ولا بد أن تكون بيضاء نقية كما أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم ، وكما جاء بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ليتهدي بها الناس - اليوم - كما اهتدوا بها من قبل، ولا يزيغ عنها بعده - صلى الله عليه وسلم - إلا هالك .

ومن مقتضى حكمة الله تعالى ورحمته - والحالة هذه من انقطاع للوحي فلا رسالة جديدة ولا رسول جديد بعده - صلى الله عليه وسلم - يوضح للناس الدين الحق بعد اندثاره - أن يقيض لهذه الأمة من العلماء الربانيين من يبين البدع ويكشف عوارها، ويدحر أهل الشرك والخرافة ، فيستمر الدين صافياً نقياً .

وهذا من تمام مدلول قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) .

الجماعة الأولى

محمد محمادي - الجزائر

إن ما نعانیه اليوم من اضطراب وفوضى في فهم الدين الذي أدى بدوره إلى الفرقة والاختلاف إنما سببه عدم معرفة قواعد الحق وسبيل النجاة ، قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ)) [النساء: ١١٥] ، فهذه حجة دامغة وبيان واضح بوجوب اتباع سبيل المؤمنين الذين كانوا عند نزول هذه الآية هم الصحابة ، فهم الحكم الفصل في مواضيع العقيدة من الإيمان والتوحيد والغيبيات ، وهم الضابط في المنهاج والسبيل وعلى كل جماعة أو طائفة تعمل لصالح الإسلام أن يكون ولاؤها التام للجماعة الأم ، وهم الصحابة والسلف الصالح ، لأن من أبرز الصفات للجماعة الناجية الاستمرارية ، قال تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ)) إشارة إلى تاريخ بدء هذه الجماعة ، وقوله تعالى : ((وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ)) إشارة إلى استمرارية ذلك الوجود بشرط الاتباع .

ولهذا فإن أي طائفة تقر أنها تأسست منذ كذا وكذا، ولا تعلن أنها استمرارية لمنهج الصحابة في فهم الإسلام وأن ولاءها التام للجماعة الأولى، فقد حكمت على نفسها بعدم اتصافها بصفة الطائفة المنصورة .
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الطائفة المنصورة لا نحيد عن طريقهم إن شاء الله .

الجيل الذي نريد

أم زياد المالكي - المدينة

لا يخفى على أحد من الناس الحال السيئة التي وصل إليها المسلمون بسبب التبعية للغرب ، وإني بحكم دراستي الجامعية التي أرى فيها كثيراً من مظاهر هذه التبعية أحببت أن أنبه إلى هذا الجانب الهام وهم (الولاء والبراء في الإسلام). قال الله تعالى : ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..)) [المجادلة: ٢٢] ، ومصداق ذلك ما روته كتب السيرة عن حب أصحاب محمد محمداً ، وأنهم تفانوا في ذلك ، بينما نرى اليوم أن مفهوم العبادة انحصر في شعائر التعبد دون معناه الشامل ، وانقطع تأثيره في الحياة وأصبحت الشعائر تقاليد موروثة يحافظ عليها الصغير والكبير من أجل أنها تقاليد .

فالأخلاق وحجاب المرأة وقضية العرض كلها تقاليد أكثر مما هي عبادة .
نحن اليوم بحاجة إلى جيل تربي على طلب العلم والعمل يؤمن بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدلاً من جيل يخاف من السيف وهو في غمده ، قد أعلن ولاءه للغرب في تصرفاته وأخلاقه ، فلا دين له ولا أخلاق ، يصبح ويمسي وهو يفكر في قضاء وقته باللهو .
أيها الآباء شمروا عن ساعد الجد وربوا جيلاً يصمد أمام الأعداء لا يخاف إلا الله وحده .

* الأخ مهند السالمي من جده بعث بهذه الأبيات :

يغرد السعد في أطياف أحلامي ويزهر الفخر مزهواً بالآمي
وتستكين حروف طالما جمحت واشعل الشوق في أجراس أنغامي
هل أنثر الشعر ورداً فوق غانية؟! أم أسكب الشدو تعطيراً بأقلامي؟!
أم انتشي لتثني كل فاتنة؟! وأمدح الورد مزداناً بأحلامي؟!
أم أرسم الدرب مفروشاً أزاهره؟! مخادعاً مادحاً بالزور أقوامي
وأدعي أنهم خير الورى خلقاً يجلجلون بخيل الحق ظلامي
كلا ... أبيت نفاقاً أو مدهانة كفى هياماً وعشاقاً بين أقزام
فشعلة النور ترجو من يؤججها بين النفوس وتمحو كل إجرام
شرّق إلى الهند إن الخطب المهم قد راع إخوتنا عباد أصنام
فكيف أرخي عنان الجفن منهزماً وأرتضي العيش في أكناف نوام؟!
ونكر أندلس في الليل أرقني ما عاد زينتها خضراء أعلامي
والسم يسري كليل غاب أوله يخدر السم فينا كل ضرغام

فزينوا أرضنا بالخير واتبعوا نهج الأكارم واشفوا مر أسقامي

الصفحة الاخيرة من أسباب النجاح

عبد القادر حامد

كل الناس تطمح إلى النجاح في خططها وأهدافها ، والمسلمون كذلك يتمنون النجاح ويطمحون إليه ، ويبذلون جهوداً ليست أقل من جهود غيرهم الذين وصلوا ؛ بينما بقي المسلمون يلهثون ويعانون . أسباب ذلك كثيرة ومعقدة والتعرض لها في صفحة واحدة ظلم للحقيقة . ولكن هناك من الأسباب سبب مهم ، وهو كامن في الأسلوب. ففي المناطق التي ساد فيها الإسلام؛ تعلمت فرق وشراذم كيف تخفي حقيقتها أمام وضوح الإسلام وصراحته، واستعانت بالكتمان لتضيف إلى إنجازاتها شيئاً جديداً كل يوم بل كل ساعة . ولأن بينها وبين الشيطان نسباً وصهرراً فإنها تستخدم الأساليب الشيطانية بمهارة فطرية ، وعندها قدرة على التكيف والتلون ، فتلبس لكل حالة لبوسها .

بينما يغلب على المسلمين الوضوح في كل شيء ؛ فيصرحون بالخطط والأهداف من أول يوم . ولأن الوضوح والصراحة وكراهية النفاق والتملق من المفاهيم الأساسية في الإسلام ؛ فقد انسحب تأثير ذلك حتى على أسلوب العمل الإسلامي بكامله ، وفي مثل هذه الأجواء تكون الغلبة لمن يحسن التكتم ورص الصفوف والبعد عن الصراخ والهذر، ويفهم الظروف والقوى المتصارعة وعناصر القوة والضعف فيها فهماً عميقاً . أما الاغترار بالجماهير والجموع ؛ دون الالتفات إلى الأمور العملية والجوهرية ؛ فلا يؤدي إلا إلى استنفار غرائز الذين يشعرون بتهديد الإسلام لهم ؛ فيتناسون خلافاتهم الراهنة ، وتجمعهم تلك الغرائز على الكيد للمسلمين ، والتخطيط لتفريق صفوفهم ، والإحاطة بهم . والله أعلم .

تمت بحمد الله